UNIVERSAL
LIBRARY

بعون الله الخلاق وحسن توفيقه بتهذيب الاخلاق

قد استتب طبع الرسالة العجيبة والصحيفة الغريبة المسماة

بكتاب الطهارة في تهذيب الاخلاق لابي علي مسكويه

على ما امر بطبعها جناب صاحب الافخم والحاكم المجد الاعظم الفياض الامجد صاحب الجود والكرم [illegible]

في المطبع العلوي المنسوب الى علي بخش خان

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نتوجه إليك ونسعى نحوك ونجاهد نفوسنا في طاعتك ونركب الصراط المستقيم الذي يحملنا الى مرضاتك فأعنا بقوتك واهدنا بعزتك واعصمنا بقدرتك وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك ورأفتك انك على ما تشاء قدير

غرضنا في هذا الكتاب ان نحصل لانفسنا خلقا تصدر به عنا الافعال كلها جميلة ويكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي والطريق الى ذلك ان نعرف اولا نفوسنا ما هي واى شئ هي ولاى شئ أوجدت فينا اعنى كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التي اذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية وما الاشياء العايقة لنا عنها وما الذى نزكيها فتفلح وندسيها فتخيب فان الله عز وجل يقول ونفس وما سوّيها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ولما كان لكل صناعة مبادى عليها تبتنى وبها تحصل وكانت تلك المبادى مأخوذة عن صناعة اخرى فليس في شئ من هذه الصناعات ان يبين مبادى انفسها كان لنا عذر واضح في ذكر مبادى هذه الصناعة على طريق الاجمال والاشارة بالقول الوجيز وان لم يكن مما قصدنا له واتباعها بعد ذلك بما نتحراه من اصلاح الخلق الشريف الذى تشرف به ذواتنا شرفا حقيقيا لا على طريق العرض الذى لا ثبات له ولا حقيقة اعنى المكتسب بالمال والمكاثرة والتسلط والمغالبة او الاصطلاح والمواضعة فنقول وبالله التوفيق ولا تبين ان فينا شيئا ليس بجسم ولا جزء من جسم ولا عرض ولا يحتاج في وجوده الى قوة جسمية بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشئ من الحواس ثم نبين ما مقصودنا منه الذى خلقنا له وهذبنا اليه

ليه **فنقول** انا لما وجدنا في الانسان شيئا ما يضاد الاجسام واجزاء الاجسام بحده وخواصه وله افعال يضاد افعال الجسم وخواصه حتى لا يشاركه في حال من الاحوال وكذلك نجده يباين الاعراض ويضادها كلها غاية المباينة ثم وجدنا هذه المضادة والمباينة منه للاجسام والاعراض انما هي من حيث كانت الاجسام اجساما والاعراض اعراضا حكمنا بان هذا الشيء ليس جسما ولا جزء من جسم ولا عرضا وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير وايضا فانه يدرك جميع الاشياء بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص **وبيان ذلك** ان كل جسم له صورة فانه ليس يقبل صورة اخرى من جنس صورته الاولى الا بعد مفارقته الصورة الاولى مفارقة تامة مثال ذلك ان الجسم اذا قبل صورة او شكلا من الاشكال كالتثليث مثلا فليس يقبل شكلا اخر من التربيع والتدوير وغيرهما الا بعد ان يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا قبل صورة نقش وكتابة او اي شيء كان من الصور فليس يقبل صورة اخرى من ذلك الجنس الا بعد زوال الاولى وبطلانها البتة فان بقي فيه شيء من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل يختلط فيه الصورتان فلا يخلص له احدهما على التمام ومثال ذلك انه اذا قبل الشمع صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الا بعد ان يزول عنه رسم النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة الخاتم وهذا حكم مستمر في الاجسام كلها ونحن نجد انفسنا تقبل صورة الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام والكمال من غير مفارقة الاولى ولا معاقبة ولا زوال رسم بل يبقى الرسم الاول تاما كاملا ثم لا تزال تقبل صورة بعد صورة ابدا دائما من غير ان يضعف او يقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما يطرء عليها من الصور بل تزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص الاجسام وبهذه العلة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض وتخرج في العلوم والاداب فليست النفس اذن جسما فاما انها ليست بعرض فهو بين من قبل ان العرض لا يحمل عرضا لان العرض في نفسه محمول ابدا اي موجود في غيره لا قوام له بذاته وهذا الجوهر الذي وصفنا حاله هو ابدا حامل باتم واكمل من حمل الاجسام الاعراض فاذن النفس ليست جسما ولا جزءا من جسم ولا عرضا **وايضا** فان الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم جسما يحصل في النفس في قوتها الوهمية من غير ان يصير به الطول ولا عرض ولا عمق بل لا يصير جسما البتة ولا اذا تصورت ايضا بكيفيات الجسم تكيفت بها اعني اذا تصورت الالوان والطعوم لم تتصور بها كما يتصور الاجسام ولا يمنع بعضها قبول اضدادها كما يمنع في الجسم بل يقبلها كلها في حالة واحدة بالسوية وكذلك حالها في المعقولات فانها يزداد بكل معقول يحصله قوة على قبول غيره

دائما ابدا بلا نهاية وهذه حال مقابلة لاحوال الاجسام وخاصة في غاية البعد من احوالها **وايضا** فان الجسم وقواها
لا تعرف العلوم الا من الحواس ولا تميل الا اليها فهي تشتاقها بالملابسة والمشابكة مثل الشهوات البدنية ومحبة الانتقام
والغلبة وبالجملة كلما يحس ويصل اليه بالحس فهي يزداد بهذه الاشياء قوة ويستفيد منها تماما وكمالا لانها مادية واسباب
وجوده فهو يفرح بها ويشتاق اليها من اجل انها تتمم وجوده وتزيد فيه وتمكنه فاما هذا المعنى الآخر الذي سميناه نفسا فانه كلما تباعد من
هذه المعاني البدنية التي احصيناها وتدخل الى ذاته وتخلى عن الحواس بالالزم ما يمكن ازداد قوة وتماما وكمالا ويظهر له الآراء
الصحيحة والمعقولات البسيطة وهذا ادل دليل على ان طباعه من غير طباع الجسم والبدن وانه اكرم جوهرا وافضل طباعا من كل ما
في هذا العالم من الامور الجسمانية البدنية **وايضا** فانه يشتاق الى ما ليس في طباع البدن وحرصه على معرفة حقايق الامور الالهية وميله الى
الامور التي هي افضل من الامور الجسمية وايثاره له وانصرافه عن الامور واللذات الجسمانية البدنية لتحصيل اللذات العقلية يدلنا
دلالة واضحة على انه من جوهر اعلى واكرم جدا من الامور الجسمانية البدنية لانه لا يمكن في شيء من الاشياء ان يشتاق ما ليس من طبيعته
ولا ان ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فاذا كان افعال النفس اذا انصرفت الى ذاتها وتركت الحواس مخالفة لافعال البدن
ومضادة لمعاني عمالاتها وارادتها فلا محالة ان جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له في طبيعته **وايضا** فان النفس وان كانت
تاخذ كثيرا من مبادي العلوم عن الحواس فلها من نفسها مبادي اخر وافعال لا تاخذها عن الحواس البتة وهي المبادي الشريفة
العالية التي تبتني عليها القياسات الصحيحة وذلك انها اذا حكمت انه ليس بين طرفي النقيض واسطة فانها لم تاخذ هذا
الحكم من شيء آخر لانه اولي ولو اخذته من شيء آخر لم يكن اوليا **وايضا** فان الحواس تدرك المحسوسات فقط واما النفس فانها تدرك اسباب
الاتفاقات واسباب الاختلافات التي بين المحسوسات وبين معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم ولا آثار الجسم وكذلك اذا حكمت
على الحس بانه صدق او كذب فليس تاخذ هذا الحكم من الحس لان الحس لا يضاد نفسه فيما يحكم به ونحن بهذا العقل العاقلة فينا نستدرك شيئا كثيرا من خطاء
الحواس في مبادي افعالها ونرد عليها احكامها من ذلك ان البصر يخطي فيما يراه من قرب ومن بعد اما خطاءه في البعيد
فبادراكه الشمس صغيرة مقدارها عرض قدم وهي مثل الارض كلها مائة ونيفا وستين مرة فنشهد بذلك البرهان العقلي فنقبل منه
ونرد على الحس ما شهد فلا نقبله واما خطاءه في القريب في منزلة ضوء الشمس اذا وقع علينا من ثقب او ثقبات صغار في خلال
البواري واشباهها التي نستظل بها فانه يدرك الضوء الواصل الينا منها مستديرا فنرد عليه هذا الحكم ونغلطه في ادراكه
ونعلم انه ليس كما يراه ويخطي البصر ايضا في حركة القمر والسحاب والسفينة والشاطي ويخطي في الاساطين وتخيل الشطرنج

واشباهها حتى يراها مختلفة فى اوضاعها وتخطى ايضا فى الاشياء التى تتحرك على الاستدارة حتى يراها كالحلقة وكالطوق
وتخطى ايضا فى الاشياء الغايصة فى الماء حتى يرى بعضها اكبر من مقداره ويرى بعضها مكسورا وهو صحيح ويرى بعضها معوجا
وهو مستقيم ويرى بعضها منكوسا وهو منتصب فليستخرج اسباب هذه كلها من مبادى عقلية ويحكم عليها احكاما صحيحة و
كذلك الحال فى حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس اعنى ان حاسة الذوق تغلط فى الحلو فتجده
مرا وحاسة السمع تغلط فى المواضع الصقيلة المشيدة واشباهها عند الصداء وما اشبهه وحاسة الشم تغلط كثيرا فى
الاشياء المنتنة لاسيما فى المنتقل من رايحة الى رايحة فالعقل يرد هذه القضايا ويقف فيها ويستخرج اسبابها ويحكم
فيها احكاما صحيحة والحاكم فى الشئ المزيف له او المصحح افضل واعلى رتبة من المحكوم عليه وبالجملة فان النفس اذا علمت ان
الحس قد كذب او صدق فليس يأخذ هذا العلم من الحس **ثم** اذا علمت انها قد ادركت معقولاتها فليس تعلم هذا العلم
من علم اخر فانها لو علمت هذا العلم من علم اخر لاحتاجت فى ذلك العلم ايضا الى علم اخر وهذا يمر بلا نهاية فاذن
علمها بانها علمت ليس بمأخوذ من علم اخر البتة بل هو من ذاتها وجوهرها اعنى العقل وليست تحتاج فى ادراك ذاتها الى
شئ اخر غير ذاتها ولهذا ما قيل فى اواخر هذا العلم ان العقل والعاقل والمعقول شئ واحد لا غير فيه وهذا شئ يبين فى
موضعه **واما الحواس** فلا تحس ذواتها ولا ما هو موافق لها كل الموافقة كما سنبين ايضا فاذن قد تبين من هذه
الاشياء بيانا واضحا ان النفس ليست بجسم ولا جزء من جسم ولا حال الجسم وانما شئ اخر مفارق للجسم بجوهره واحكامه وخواصه
وافعاله **فنقول** اما شوقها الى افعالها الخاصة بها اعنى العلوم والمعارف مع هربها من افعال الجسم الخاصة به فهو
فضيلتها وبحسب طلب الانسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله وهذا الفضل تتزايد بحسب عناية الانسان
بنفسه وانصرافه عن الامور العايقة له عن هذا المعنى بجهده وطاقته وقد وضح بما تقدم ما الاشياء العايقة لنا عن الفضائل
اعنى الاشياء البدنية والحواس وما يتصل بها فاما الفضائل انفسها فليس يحصل لنا الا بعد ان نطهر نفوسنا من الرذائل التى هى
اضدادها اعنى شهواتها الردية الجسمانية ونزواتها الفاحشة البهيمية فان الانسان اذا علم ان هذه الاشياء ليست
فضايل بل هى رذايل تجنبها وكره ان يوصف بها واذا ظن انها فضايل لزمها وصارت له عادة وبحسب التباسه وتدنسه بها
يكون بعده من قبول الفضايل وقد يظهر للانسان ان هذه الاشياء التى يشتاقها البدن بالحواس ويميل اليها الجمهور
اعنى المآكل والمشارب والمناكح هى رذائل وليست فضايل انه اذا تفقدها فى الحيوانات وجد كثيرا منها اقدر على

الاستكثار منها والحرص عليها كالخنزير والكلب واصناف كثيرة من حيوان الماء وسباع الوحش والطير فانها اقوى من الانسان
على هذه بهذه الاشياء واكثر احتماماً لها وليست تكون بها افضل من الانسان وايضاً فان الانسان اذا اكتفى من طعامه
وشرابه وسائر اللذات البدنية اذا عرض عليه الاستزادة منها كما يستزاد من الفضائل ابى ذلك حتى تبين له قبح صورة من
يتعاطاها الاسيما مع الاستغناء عنها والاكتفاء منها بل يتجاوز ذلك الى مقته وذمه بل الى تقويمه وتاديبه فينبغي الان
ان نقدم لما نطلبه من سعادات النفس وفضائلها كلاماً يسهل به فهم ما نريده **فنقول** كل موجود من حيوان ونبات وجماد
وكذلك بسائطها اعني النار والهواء والماء والارض وكذلك الاجرام العلوية لها قوى وملكات وافعال بها يصير ذلك
الموجود هو ما هو وبها يتميز عن كل ما سواه وله ايضاً قوى وملكات وافعال لها يشارك ما سواه ولما كان الانسان من بين
الموجودات كلها هو الذي يلتمس له الخلق المحمود والافعال المرضية وجب ان لا ينظر في هذا الوقت في قواه وملكاته وافعاله
التي بها يشارك سائر الموجودات اذ كان ذلك من حق صناعة اخرى وعلم آخر يسمى العلم **الطبيعي** فاما افعاله وقواه
وملكاته التي يختص بها من حيث هو انسان وبها يتم انسانيته وفضائله فهي الامور الارادية التي يتعلق بها قوة الفكر والتمييز والنظر فيها
يسمى الفلسفة العملية والاشياء الارادية التي ينسب الى الانسان ينقسم الى الخيرات والشرور وذلك ان الغرض المقصود بوجود
الانسان اذا توجه الواحد منا اليه حتى يحصل له هو الذي يجب ان يسمى به خيراً وسعيداً واما من عاقته عوائق اخر عنها فهو
الشرير الشقي فاذن الخيرات هي الامور التي تحصل للانسان بارادته وسعيه من الامور التي لها اوجد الانسان ومن اجلها
خلق والشرور هي الامور التي تعوقه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه او كسله وانصرافه والخيرات قد قسمها الاولون الى
اقسام كثيرة نحن نعدها فيما بعد ان شاء الله **وقد** قدمنا القول ان كل واحد من الموجودات له كمال خاص به وفعل
لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء اعني انه لا يجوز ان يكون موجود سواه اصلح لذلك الفعل منه وهذا
حكم مستمر في الامور العلوية والامور السفلية كالشمس وسائر الكواكب وكانواع الحيوان كلها كالفرس والبازي وكالنبات
والمعادن وكالعناصر والبسائط التي متى تفحصت احوالها تبين لك من جميعها صحة ما قلناه وحكمنا به فاذن الانسان
من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة المروية فكل من كان تمييزه
اصح ورويته اصدق واختياره افضل كان اكمل في انسانيته وكما ان السيف والمنشار وان صدر عن كل واحد منهما
فعله الخاص بصورته الذي من اجله عمل فافضل السيوف ما كان امضى وانفذ وما كفاه اليسير من الايماء في بلوغ كماله

كماله الذى اعدله وكذلك الحال فى الفرس والبازى وساير الحيوانات لامرفان افضل الافراس ما كان اسرع حركة
واشد تيقظا لما يريد الفارس منه فى طاعته اللجام وحسن القبول فى الحركات وخفة العدو والنشاط وكذلك الانسان
افضلهم من كان اقدر على افعاله الخاصة به واشدهم تمسكا بشرائط جوهره الذى يميزه من الموجودات فاذا ما ذن بالواجب
الذى لا مرية فيه ينبغى ان نحرص على الخيرات التى هى كمالنا والتى من اجلها خلقنا ونجتهد فى الوصول الى الانتهاء
اليها ونتجنب الشرور التى تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها فان الفرس اذا قصر عن كماله ولم يظهر افعاله الخاصة به على افضل
احوالها حط عن مرتبة الفرسية واستعمل بالاكاف كما يستعمل الحمير وكذلك السيف وساير الالات متى قصرت
ونقصت افعاله الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمال ما دونها والانسان اذا انقصت افعاله او قصرت
عما خلق له اعنى ان يكون رويته وافعاله التى تصدر عنه وعن روية غير كاملة لحرى ان يحط عن مرتبة الانسانية الى مرتبة
البهيمية هذا اذا صدرت افعاله الانسانية عنه ناقصة غير تامة فاما اذا صدرت عنه بضد ما اعدله اعنى الشرور التى
تكون بالروية الناقصة او المعدول بها عن جهتها لاجل الشهوة التى يشاركه فيها البهيمية او الاغترار بالامور الحسية التى
تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التى يرتقى بها الى الملك الرفيع والى السرور الحقيقى وتوصله الى قرة العين التى قال
الله عز وجل وعز من قايل فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وتبلغه الى جوار رب العالمين فى النعيم المقيم واللذات التى
لم ترها عين ولا سمعتها اذن ولا خطر على قلب بشر وانخدع عن هذه الموهبة السرمدية الشريفة بتلك الخساسات التى
لا ثبات لها فحقيق ما تلقت من خالقه عز وجل خليق بتعجيل العقوبة له والراحة منه داخلا بالعباد والبلاد
منه **واذ** قد تعين ان سعادة كل موجود من اشخاص الانسان انما هى فى صدور افعاله الانسانية عنه
بحسب تمييزه ورويته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الروية والمروى فيه لذلك قيل افضل الروية ما كان فى
افضل مروى فيه ثم تنزل رتبة فرتبة الى ان ينتهى الى النظر فى الامور الممكنة من العالم الحسى فيكون الناظر فى هذه
الاشياء قد استعمل رويته والصورة الخاصة به التى من اجلها صار سعيدا معرضا للملك الابدى والنعيم السرمدى فى اشياء
دنية لا وجود لها بالحقيقة فقد تبين اذن اجناس السعادات بالجملة واضدادها من الشقاوات واجناسها وان الخيرات
والشرور فى الافعال الارادية هى اما باختيار الافضل والعمل به واما باختيار الادون والميل اليه ولما كانت
هذه الخيرات الانسانية كثيرة وملكاتها التى فى النفس كثيرة لم يمكن فى طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان

يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم ولذلك وجب ان يكون اشخاص الناس كثيرة وان يجتمعوا في وقت واحد على تحصيل هذه السعادة المشتركة ليكمل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له فيكون الخيرات مشتركة والسعادة فوضى بينهم فيتوزعونها حتى يقوم كل واحد بجزء منها ويتم للجميع بمعاونة الجميع الكمال الانسي ويحصل لهم السعادات الثلث التي نحوناها في كتاب الترتيب ولاجل ذلك وجب ان يحب الناس بعضهم بعضا لان كل واحد يرى كماله عند الآخر فلولا ذلك ما تمت له السعادة فيكون اذن كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام اعضائه وقد تبين للناظر في هذه النفس وقواها انها تنقسم الى ثلثة اقسام اعني القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الامور والقوة التي بها يكون الغضب والنجدة والاقدام على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية وهذه الثلث متباينة ويعلم ذلك من ان بعضها اذا قوى اضر بالآخر وربما ابطل احدها فعل الآخر وهذه ربما جعلت نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحدة والنظر في ذلك ليس يليق بهذا الموضع وانت تكتفي في تعلم الاخلاق بانها قوى ثلث متباينة يقوى احدها او يضعف بحسب المزاج والعادة او التاديب **فالقوة الناطقة** هي التي تسمى الملكية والآلة التي تستعملها من البدن الدماغ **والقوة الشهوية** هي التي تسمى البهيمية والآلة التي تستعملها من البدن الكبد **والقوة الغضبية** التي تسمى السبعية والآلة التي تستعملها من البدن القلب فلذلك وجب ان يكون عدد الفضائل بحسب اعداد هذه القوى وكذلك اضدادها التي هي رذائل فمتى كانت حركة النفس الناطقة العاقلة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف الصحيحة لا المظنونة معارف وهي بالحقيقة جهالات حدث عنها فضيلة العلم وتتبعها الحكمة ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير متابية عليها فلا مقسطة لها ولا منهمكة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها فضيلة السخاء ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما يقسطه لها فلا تهيج في غير حينها ولا تحمى اكثر مما ينبغي لها حدث عنها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة ثم تحدث عن هذه الفضائل الثلث باعتدالها ونسبة بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة ولذلك اجمع الحكماء على ان اجناس الفضائل اربع وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولذلك لا يفتخر احد ولا يباهي الا بهذه الفضائل فقط فاما من افتخر بآبائه واسلافه فلانهم كانوا على بعض هذه الفضائل او عليها كلها وكل واحدة من هذه الفضائل اذا تعدت صاحبها الى غيره سميت

سمي صاحبها او مدح عليها اذا اقتصر بها على نفسه لم يسم بها بل غيرت هذه الاسماء اما الجود اذا لم يتعد سمي صاحبه
منفاقا واما الشجاعة فان صاحبها يسمى انفا واما العلم فان صاحبه يسمى مستبصرا ثم ان صاحب الجود
والشجاعة اذا عم غيره بفضيلته وتعداه رجي باحدهما واحتشم وهيب بالاخر وذلك في الدنيا فقط لانهما فضيلتان
حيوانيتان فاما العلم فان صاحبه اذا تعداه رجي واحتشم في الدنيا والاخرة لانه فضيلة انسانية ملكية واضداد
هذه الفضائل الاربع من الرذائل ايضا اربع وهي الجهل والشره والجبن والجور وتحت كل واحد من هذه الاجناس انواع
كثيرة سنذكرها ما امكن ذكره فاما اشخاص الانواع فهي بلا نهاية وهي امراض نفسانية تحدث عنها الالام الكثيرة
كالخوف والحزن والغضب وانواع العشق الشهواني وضروب من سوء الخلق سنذكر علاجها فيما بعد ان شاء الله
والذي يجب علينا الان تحديد هذه الاشياء اعني الاجناس الاربعة التي تحتوي على جمل الفضائل فنقول اما
الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي ان تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة وان شئت فقل ان تعلم
الامور الالهية والامور الانسانية ويثمر علمها بذلك ان يعرف المعقولات ايها يجب ان تفعل وايها يجب ان تهمل
واما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الانسان يكون بان تصرف شهواته بحسب
الراي اعني ان يوافق التمييز الصحيح لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته واما الشجاعة
فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الانسان بحسن انقيادها للنفس الناطقة واستعمال ما يوجبه
الراي في الامور الهائلة اعني ان لا يخاف من الامور المفزعة اذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا
واما العدالة فهي فضيلة للنفس يحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلث التي حددناها
وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك نحو مطلوباتها
على سوم طبائعها ويحدث للانسان بها سمة يختار بها ابدا الانصاف من نفسه على نفسه اولا ثم الانصاف
والانتصاف من غيره وسنتكلم على كل واحدة من هذه الفضائل بكلام اوسع من هذا اذا ذكرنا الفضائل
التي تحت كل جنس من هذه الاربع اذ كان غرضنا في هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم الوجيزة
ليتصورها المتعلم والذي ينبغي ان يتبع ما قدمناه ذكر انواع هذه الاجناس وما تحت
كل واحد منها اما الاقسام التي تحت الحكمة فهي هذه الذكاء والذكر والتعقل وسرعة الفهم

قوته صفاء الذهن سهولة التعلم بهذه الاشياء يكون حسن الاستعداد للحكمة **فاما** الوقوف على جواهر هذه الاقسام
فيكون من حدودها وذلك ان العلم بالحد وبه يفهم جواهر الاشياء المطلوبة الموجودة دائما على حالة واحدة وهو العلم
البرهاني الذي لا يتغير ولا يدخله الشك بوجه من الوجوه والفضايل التي بهذه الفضايل ليس يكون في حال من
الاحوال غير فضايل وكذلك العلوم بها **اما** الذكا فهو سرعة انقداح النتايج وسهولتها على النفس **واما** الذكر فهو ثبات
صورة ما يخلصه العقل والوهم من الامور **واما** التعقل فهو موافقة بحث النفس عن الاشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه
واما صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب **واما** جودة الذهن وقوته فهو تامل النفس لما قد لزم من
المقدم **واما** سهولة التعلم فهي قوة للنفس وحدة للفهم بها تدرك الامور النظرية **الفضايل التي تحت العفة**
الحياء الدعة الصبر السخاء الحرية القناعة الديانة الانتظام حسن الهدي المسالمة الوقار الورع **اما** الحياء فهو انحصار النفس
خوف اتيان القبايح والحذر من الذم والسب الصادق **واما** الدعة فهو سكون النفس عند حركة الشهوة **واما** الصبر
فهو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبايح اللذات **واما** السخاء فهو التوسط في الاعطاء والاخذ وهو ان ينفق
الاموال فيما ينبغي بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي وتحت السخاء خاصة انواع كثيرة نحن نحصيها في ما بعد
لكثرة الحاجة اليها **واما** الحرية فهي فضيلة للنفس بها تكتسب المال من وجهه وتعطي في وجهه وتمتنع اكتساب المال
من غير وجهه **واما القناعة** فهي التساهل في الماكل والمشارب والزينة **واما** الديانة فهي حسن انقياد
النفس للجميل وتسرعها الى الجميل **واما** الانتظام فهو حال للنفس يقودها الى حسن تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي
واما حسن الهدي فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة **واما** المسالمة فهي موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطراب
فيها **واما** الوقار فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب **واما** الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة
التي فيها كمال النفس **الفضايل التي تحت الشجاعة** كبر النفس النجدة عظم الهمة الثبات الصبر الحلم عدم الطيش الشهامة
احتمال الكد الفرق بين هذا الصبر وبين الذي في العفة ان هذا يكون في الامور الهائلة وذاك يكون في الشهوات الهايجة
اما كبر النفس فهو الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة والهوان فصاحبه ابدا يوهل نفسه للامور
العظام مع استحقاقه لها **واما** النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع **واما** عظم الهمة فهو فضيلة
للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت **واما** الثبات والصبر فهو فضيلة

للنفس يقوى بها احتمال الالام ومقاومتها في الاهوال الخاصة **واما** الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمانينة
ولا يكون شغبة ولا يتحركها الغضب بسهولة وسرعة **واما** السكون الذي نعني به عدم الطيش فهو اما عند الخصومات
واما في الحروب التي تذب بها عن الحريم او عن الشريعة وهو قوة للنفس تقسر حركتها في هذه الاحوال لشدتها **واما** الشهامة
فهي الحرص على الاعمال العظام ترقبا للاخروية الجميلة **واما** احتمال الكد فهو قوة للنفس تستعمل الات البدن في
الامور الحسنة بالتمرين وحسن العادة **الفضايل** التي تحت السخاء الكرم الايثار النبل المواساة السماحة
المسامحة **اما** الكرم فهو انفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي وباقي الشروط
التي ذكرناها في السخاء **واما** الايثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التي يخصه حتى يبذله
لمن يستحقه **واما** النبل فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة **واما** المواساة فهي
معاونة الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الاموال والاقوات **واما** السماحة فهي بذل بعض ما لا يجب
واما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار **الفضايل** التي تحت العدالة
الصداقة الالفة صلة الرحم المكافاة حسن الشركة حسن القضاء التودد العبادة **اما** الصداقة فهي محبة صادقة يهتم
معها بجميع اسباب الصديق وايثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به **واما** الالفة فهي اتفاق الاراء وتحدث
عن التواصل فيعتقد معها التضافر على تدبير العيش **واما** صلة الرحم فهي مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات التي تكون
في الدنيا **واما** المكافاة فهي مقابلة الاحسان بمثله او بزيادة عليه **واما** حسن الشركة فهو الاخذ والاعطاء
في المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع **واما** حسن القضاء فهي مجازاة بلا من ولا ندم **واما**
التودد فهو طلب مودات الاكفاء واهل الفضل بحسن اللقاء والاعمال التي يستدعي المحبة منهم **واما**
العبادة فهي تعظيم الله عز وجل وتمجيده وطاعته واكرام اوليائه من الملائكة والانبياء والائمة والعمل بما توجبه
الشريعة وتقوى الله عز وجل يكمل هذه الاشياء ويتمها **واذ** قد اقتصصنا الفضايل الاولى واقسامها وذكرنا
انواعها واجزاءها فقد عرفت الرذايل التي تضاد الفضايل لانه يفهم من كل واحدة من تلك
كلها ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد ولما كانت هذه الفضايل اوساطا بين اطراف وتلك
الاطراف هي الرذايل وجب ان يفهم منها وان اتسع لنا الزمان ان ذكرناها الان وجود اسمائها في هذا

الوقت متعذر علينا ينبغى ان يفهم من قولنا ان كل فضيلة فهى وسط بين رذائل ما انا واصف ان الارض لما كانت على
غاية البعد من السماء قيل انها وسط وبالجملة المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط واذا كان الشئ
على غاية البعد من شئ اخر فهو من هذه الجهة على القطر فعلى هذا الوجه ينبغى ان يفهم معنى الوسط من
الفضيلة اذ كانت بين رذائل بعدها منها اقصى البعد ولهذا اذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص
بها ادنى انحراف قربت من رذيلة ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التى تميل اليها ولهذا صعب
جدا وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده اصعب لذلك قالت الحكماء اصابة نقطة الهدف عسر
من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطيها اعسر واصعب وذلك ان الاطراف التى تسمى
رذائل من الافعال والاحوال والزمان وسائر الجهات كثيرة جدا ولذلك دواعى الشر اكثر من دواعى
الخير ويجب ان يطلب اوساط تلك الاطراف بحسب انسان انسان فاما ما يجب علينا نحن فهو ان نذكر جمل هذه
الاوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لا على ما يجب على شخص شخص فان هذا غير ممكن فان النجار والصائغ
وسائر ارباب الصناعات انما يحصل فى نفوسهم قوانين واصول فيعرف النجار صورة الباب والسرير والصائغ
يعرف صورة الخاتم والتاج على الاطلاق فاما اشخاص ما قام فى نفسه فانما يستخرجها بتلك القوانين ولا
يمكنه تعرف الاشخاص لانها بلا نهاية وذلك ان كل باب وخاتم انما يعمل بمقدار ما ينبغى وعلى قدر الحاجة
وبحسب المادة والصناعة لا تضمن الا معرفة الاصول فقط **واذ** قد ذكرنا معنى الوسط فى الاخلاق وما ينبغى
ان يفهم منه فلنذكر هذه الاوساط ليفهم منها الاطراف التى هى رذائل **فنقول** وبالله التوفيق **واما**
الحكمة فهى وسط بين السفه والبله واعنى بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغى وكما لا ينبغى وسموه
القوم الجربزة واعنى بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغى ان يفهم البله ههنا نقصان الخلقة بل
ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالارادة **واما** الذكاء فهو وسط بين الخبث والبلادة فان احد طرفى كل وسط
فهو افراط والاخر تفريط اعنى الزيادة عليه او النقصان منه فالخبث والدهاء والحيل الردية هى كلها الى جانب
الزيادة مما ينبغى ان يكون الذكاء فيه **واما** البلادة والبله والعجز عن ادراك المعارف فهى كلها الى جانب
النقصان من الذكاء **واما** الذكر فهو وسط بين النسيان الذى يكون باهمال ما ينبغى ان يحفظ وبين

بين العناية بما لا ينبغي ان يحفظ **واما** التعقل فهو حسن التصور فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشيء الموضوع الى اكثر مما هو عليه وبين القصور بالنظر عما هو عليه **واما** سرعة الفهم فهو وسط بين اختطاف خيال الشيء من غير احكام لفهمه وبين الابطاء عن حقيقته **واما** صفاء الذهن فهو وسط بين كدورة في النفس يتأخر بها عن استخراج المطلوب وبين التهاب يعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب **واما** جودة الذهن وقوته فهو وسط بين الافراط في التأمل لما لزم من المقدم حتى يخرج عنه الى غيره وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه **واما** سهولة التعلم فهو وسط بين المبادرة اليه بسلاسة لا تثبت معه صورة العلم وبين التصعب عليه وتعذره **واما** العفة فهو وسط بين رذيلتين وهما الشره وخمود الشهوة واعني بالشره الانهماك في اللذات والخروج عنها عما ينبغي واعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج اليها البدن في ضروراته وهي ما يرخص فيه الشريعة او العقل **واما الفضائل** التي تحت العفة فان الحياء وسط بين رذيلتين احدهما الوقاحة والاخرى الخرق وانت تقدر على ان تلحظ اطراف الفضائل الاخر التي هي رذائل وربما وجدت لها اسماء بحسب اللغة وربما لم تجد لها اسماء وليس يعسر عليك فهم معانيها والسلوك فيها على السبيل التي سلكناها **واما** الشجاعة فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن والاخر التهور اما الجبن فهو الخوف مما لا ينبغي ان يخاف منه واما التهور فهو الاقدام على ما لا ينبغي ان يقدم عليه **اما** السخاء فهو وسط بين رذيلتين احدهما السرف والتبذير والاخرى البخل والتقتير اما التبذير فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق واما التقتير فهو منع ما ينبغي ممن يستحق **واما** العدالة فهو وسط بين الظلم والانظلام اما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي واما الانظلام فهو الاستخذاء والاستجابة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي ولذلك يكون ابدا للجائر اموال كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة واما المظلوم فمقتنياته واموله يسيرة جدا لانه تركها من حيث يجب اما العادل فهو وسط بينهما لانه يقتني الاموال من حيث يجب ويتركها من حيث لا يجب فالعدالة فضيلة يتصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير ان يعطي نفسه من النافع اكثر وغيره اقل فاما في الضار فبالعكس وهو ان لا يعطي نفسه اقل وغيره اكثر لكن يستعمل المساواة التي هي تناسب ما بين الاشياء

ومن هذا المعنى اشتق اسمه اعنى العدل واما الجائر فهو ان يطلب لنفسه الزيادة من النافع ولغيره النقصان منه واما في الاشياء الضارة فهو ان يطلب لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها فقد ذكرنا الاخلاق التى هى خيرات وفضايل و اطرافها التى هى شرور ورذايل على طريق الاجمال وحددنا ما يحدّ منها ورسمنا ما يرسم وسنشرح كل واحد منها على سبيل الاستقصاء فيما بعد ان شاء الله وينبغى ان نلخص فى هذا الموضع شيئاً مما يلحق طالب هذه الفضايل **فنقول**

انا قد بينا فيما تقدم ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفى بنفسه فى تكميل ذاته ولا بد له من معاونة قوم كثيرى العدد حتى يتم حياته طيبة ويجرى امره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدنى بالطبع اى هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير لتتم له السعادة الانسانية فكل انسان بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره فهو لذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته وهو ايضاً يفعل لهم مثل ذلك فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلى ويتعاطى ما يرى الفضيلة من غيره فاذن القوم الذين راوا الفضيلة فى الزهد وترك مخالطة الناس و تفردوا عنهم اما بملازمة المغارات فى الجبال واما ببناء الصوامع فى المفاوز واما بالسياحة فى البلدان لا يحصل لهم شىء من الفضايل الانسانية التى عددناها وذلك ان من لم يخالط الناس ولم يساكنهم فى المدن لا يظهر فيهم العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة بل تصير قواهم وملكاتهم التى ركبت فيهم باطلة لانها لا تتوجه لا الى خير ولا الى شر فاذا بطلت ولم يظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من الناس ولذلك انهم يظنون ويظن بهم انهم اعفاء وليسوا باعفاء وانهم عدول وليسوا بعدول وكذلك فى ساير الفضايل اعنى اذا لم يظهر منهم اضداد هذه التى هى شرور ظن بهم الناس انهم افاضل وليست الفضايل اعداماً بل هى افعال واعمال يظهر عند مشاركة الناس ومساكنيهم فى المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن انما نعلم ونتعلم الفضايل الانسانية التى نساكن بها الناس و نخالطهم لنصل منها وبها الى سعادات اخر اذا صرنا الى حال اخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الان. تمت

المقالة الاولى من كتاب تهذيب الاخلاق

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم قسمين **منها** ما يكون طبيعياً من اصل المزاج كالانسان الذى يحركه ادنى شىء نحو غضب ويهيج من اقل سبب وكالانسان الذى يجبن من ايسر شىء وكالذى يفزع من صوت

صوت يطرق سمعه او نبأ يأتيه من غير سمعه وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من ادنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من
ايسر شيء يناله ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدأه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولاً فاولاً
حتى يصير ملكة وخلقاً ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم
قد يكون للنفس الناطقة فيها حظ ثم اختلف الناس اختلافاً ثانياً فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه و
قال اخرون ليس شيء من الاخلاق طبيعياً للانسان ولا غير طبيعي وذلك انا مطبوعون على قبول الخلق وانما ننتقل
بالتاديب والمواعظ اما سريعاً واما بطيئاً وهذا الرأي الاخير هو الذي نختاره لانا نشاهده عياناً ولان الرأي
الاول يؤدي الى ابطال قوة التمييز والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين والى ترك الاحداث والصبيان
على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جداً واما الرواقيون فظنوا ان الناس كلهم يخلقون
اخياراً بالطبع ثم يصيرون بعد اشراراً بمجالسة اهل الشر والميل الى الشهوات الردية التي لا تقمع بالتاديب فينهمك
فيها ثم يتوصل اليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبيح واما قوم اخرون كانوا قبل هؤلاء فانهم ظنوا ان الناس خلقوا
من الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لاجل ذلك اشرار بالطبع وانما يصيرون اخياراً بالتاديب والتعليم الا ان
فيهم من هو في غاية الشر فلا يمكن ان ينتقل من الشر الى الخير بالتاديب من الصبى ثم بمجالسة الاخيار واهل الفضل فاما
جالينوس فانه رأى ان الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم افسد
المذهبين الاولين الذين ذكرناهما اما الاول بان قال ان الناس اخيار بالطبع وانما ينتقلون الى الشر بالتعليم فمن الضرورة
ان يكون تعلمهم الشر اما من انفسهم واما من غيرهم فان تعلموه من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر هم اشرار بالطبع
فليس الناس اذن كلهم اخياراً بالطبع وان كانوا تعلموه من انفسهم فاما ان يكون فيهم قوة يشتاقون بها الى الشر فقط فهم اذن اشرار
بالطبع واما ان يكون فيهم مع هذه القوة التي تشتاق الى الشر قوة اخرى تشتاق الى الخير الا ان القوة التي تشتاق الى الشر غالبة وقاهرة
من التي تشتاق الى الخير وعلى هذا يكونون ايضاً اشراراً بالطبع واما الرأي الثاني فانه افسده بمثل هذه الحجة وذلك انه قال
ان كان كل الناس شراراً بالطبع فاما ان يكونوا يتعلمون الخير من غيرهم او من انفسهم فيعيد الكلام الاول بعينه ولما افسد هذين
المذهبين صحح رأي نفسه من الامور البينة الظاهرة وذلك انه ظاهر جداً ان الناس من هو خير بالطبع وهم قليلون وليس
تنتقل هؤلاء الى الشر ومنهم من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس تنتقل هؤلاء الى الخير ومنهم من هو متوسط

بين هذه وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينتقلون بمقارنة اهل الشر واغوائهم الى الشر
واما ارسطاطاليس فقد بين في كتاب الاخلاق وفي كتاب المقولات ايضا ان الشرير قد ينتقل بالتاديب الى الخير
ولكن ليس على الاطلاق لانه يرى ان تكرير المواعظ والتاديب واخذ الناس بالسياسة الجيدة الفاضلة لابد
ان يوثر ضروب الناس في ضروب الناس فمنهم من يقبل التاديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله
ويتحرك الى الفضيلة بابطاء ونحن نولف من ذلك قياسا وهو هذا كل خلق فقد يمكن تغييره ولا شئ مما يمكن تغييره هو
بالطبع فاذا ولا خلق واحد بالطبع والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في الضرب الثاني من الشكل الاول اما تصحيح
المقدمة الاولى وهي ان كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه واوضحناه وبيناه وهو بين من العيان ومما استدللنا
من وجوب التاديب ونفعه وتاثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله عز وجل لخلقه
واما تصحيح المقدمة الثانية وهي قولنا ولا شئ مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر ايضا وذلك انا لا نروم تغيير شئ
مما هو بالطبع ابدا فان احدا لا يروم ان تغيير حركة النار التي الى فوق بان يعودها الحركة الى اسفل ولا يعود الحجر حركة
العلو يروم بذلك ان يغير حركته الطبيعية التي هي الى اسفل ولو رامه ما صح له ابدا تغير شئ من هذه ولا ما يجري
مجراه اعني الامور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التاليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني منه
فصار برهانا فاما مراتب الناس في قبول هذا الادب الذي سميناه خلقا والمسارعة الى تعلمه والحرص عليه فانها
كثيرة وهي تشاهد وتعاين فيهم وخاصة في الاطفال فان اخلاقهم تظهر فيهم منذ مبدا نشوئهم ولا يسترونها بروية
وفكر كما يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشوه وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح فيخفيه بضروب الحيل والافعال
المضادة لما في طبعه وانت تتامل من اخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب ونفورهم عنه وما يظهر في بعضهم
من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده ومن الاحوال
المتفاوتة ما يعرف به مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم معه انهم ليسوا على رتبة واحدة وان فيهم
المواتي والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطين بين هذه الاطراف في مراتب لا تحصى كثرة
واذا اهملت الطباع ولم ترض بالتاديب والتقويم نشا كل انسان على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال
التي كان عليها في الطفولية وتبع ما وافقه بالطبع اما الغضب واما اللذة واما الدعارة واما الشره واما غير ذلك

ذلك من الطباع المذمومة والشريعة هي التي تقوم الاحداث وتعودهم الافعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة
وطلب الفضايل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم به وبسائر
الاداب الجميلة بضروب السياسات من الضرب ان احتيج اليه او التوبيخ ان اكتفي فيهم او الاطماع في
الكرامات او غيرها مما يميلون اليه من الراحات او يحذرونه من العقوبات حتى اذا تعودوا ذلك واستمر عليهم
مدة من الزمان كثيرة طويلة امكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما اخذوه تقليدا وينبهوا على طرق الفضايل
واكتسابها والبلوغ الى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بسبيلها والله الموفق والمعين وهو حسبنا وللانسان في
ترتيب هذه الادب وسياقتها اولا اولا الى الكمال الاخير طريق طبيعي يتشبه فيها بفعل الطبيعة وهو ان ينظر الى
هذه القوى التي تحدث فينا ايها اسبق الينا وجودا فيبدا بتقويمها ثم بما يليها على النظام الطبيعي وهو بين ظاهر وذلك
ان اول ما يحدث فينا هو الشيء العام للحيوان والنبات كله ثم لا يزال يختص بشيء شيء يتميز به نوع عن نوع الى ان يصير الى
الانسانية فلذلك يجب ان يبدء بالشوق الذي يحصل فينا الى الغذاء فيقومه ثم بالشوق الذي يحصل فينا الى الغضب وحب
الكرامة فيقومه ثم باخرة الشوق الذي فينا الى المعارف والعلوم فيقومه وهذا الترتيب الذي قلنا انه طبيعي انما
حكمنا فيه بذلك لما يظهر فينا منذ اول نشونا اعني ان نكون اولا اجنة ثم اطفالا ثم اناسا كاملين ثم يحدث فينا
هذه القوى مرتبة فاما ان هذه الصناعة هي افضل الصناعات كلها اعني صناعة الاخلاق التي تعنى بتجويد افعال
الانسان بما هو انسان فتبين بما اقول لما كان للجوهر الانساني فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات العالم
كما بيناه فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا ثم لم يصدر افعاله عنه بحسب جوهره وشبهناه بالفرس
اذا لم يصدر عنه افعال الفرس على التمام استعمل مكان الحمار بالاكاف ومكان الغنم بالذبح وكان [illegible]
ان يكون الصناعة التي تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره ورفعه
عن رتبة الاخس التي يستحق بها المقت من الله عز وجل والحصول في العذاب الاليم اشرف الصناعات كلها واكرمها واما
سائر الصناعات الاخر فرتبتها من الشرف بحسب رتبة جوهر الشيء الذي يستصلحه وهذا ظاهر جدا من صنائع الصناعات
لان فيها الدباغة التي تعنى باستصلاح جلود البهائم الميتة وفيها صناعة الطب التي تعنى باستصلاح الجواهر الشريفة
الكريمة وهكذا الهمم المتفاوتة التي تنصرف بعضها الى العلوم الدنية وبعضها الى العلوم الشريفة واذا كانت

الموجودات متفاوتة فى الشرف فى الجماد والنبات والحيوان اما فى الحيوان فكجوهر الديدان والحشرات اذا قيس الى جوهر
الانسان واما فى الجواهر الموجودات الاخر فظاهرة لمن اراد ان يحصيها فالصناعة والهمة التى تصرف الى اشرفها اشرف
من الصناعات والهمم التى تصرف الى الادون منها ويجب ان نعلم ان اسم الانسان وان كان يقع على افضلهم وعلى
ادونهم فان بين هذين الطرفين اكثر مما بين كل متضادين من البعد وان الشاعر الذى قال ــ ولم ار امثال
الرجال تفاوتت * الى المجد حتى عد الف بواحد * وان كان عنده قد بالغ فى قوله والخبر المروى عن النبى صلى الله
عليه واله وسلم انى وزنت بامتى فرجحت بهم اصدق واوضح وليس هذا فى الانسان وحده بل فى كثير من الجواهر الاخر
وان كان فى الانسان اكثر واشد تفاوتا فان بين السيف المعروف بالصمصام وبين السيف المعروف بالكهام
تفاوتا عظيما وكذلك الحال فى التفاوت الذى بين الفرس الكريم وبين البرذون المقرف فمن امكنه
ان يرقى بالصناعة من ادون هذه الجواهر مرتبة الى اعلاها فاشرف به وبصناعته ما اكرمها واذا كان الانسان
من بين هذه الجواهر هو مستعد لضرب من الاستعدادات بضرب من المقامات فليس ينبغى ان يكون الطمع فى
استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا شئ يتبين فيما بعد ان شاء الله الا ان الذى ينبغى ان نعلمه الان ان وجود الجوهر
الانسانى متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك وتقدس ذكره واما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان وهو معلق
بارادته فاعرف هذه الجملة الى ان تلخص فى موضعها ان شاء الله تعالى **وقد** تقدمنا فى صدر هذا الكتاب فقلنا انه ينبغى
ان نعرف نفوسنا ما هى ولاى شئ هى ثم قلنا ان لكل جوهر موجود كمالا خاصا به وفعلا لا يشاركه فيه غيره من حيث
هو ذلك الشئ وبينا ذلك غاية البيان فى الرسالة المسعدة **واذا** كان ذلك محفوظا فنحن مضطرون الى ان
نعرف الكمال الخاص بالانسان والفعل الذى لا يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان لنحرص على طلبه وتحصيله ونجتهد
فى البلوغ الى غايته ونهايته ولما كان الانسان مركبا لم يجز ان يكون كماله وفعله الخاص به كمال بسائطه وافعالها الخاصة
بها والا كان وجود المركب باطلا كالحال فى الخاتم والسرير فان له فعلا خاصا من حيث هو مركب والانسان لا يشاركه فيه
شئ من الموجودات الاخر فافضل الناس اقدرهم على اظهار فعله الخاص به والزمهم له من غير تلون فيه ولا اخلال به فى وقت
دون وقت فاذا عرفت الافضل فقد عرفت الانقص على اعتبار الضد فالكمال الخاص بالانسان كمالان وذلك ان له
قوتين احديهما العالمة والاخرى العاملة فلذلك يشتاق باحدى القوتين الى المعارف والعلوم ويشتاق بالاخرى

بالاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان الكمالان هما اللذان نص عليهما الفلاسفة فقالوا الفلسفة تنقسم الى الجزء النظري
والى الجزء العملي فاذا كمل الانسان بالجزء النظري والجزء العملي فقد سعد السعادة التامة اما كماله الاول باحدى قوتيه اعني
العالمة وهي التي يشتاق بها الى العلم فهو ان يصير في العلم بحيث يصدق نظره ويصح بصيرته ويستقيم رويته ولا يغلط في
اعتقاد ولا يشك في حقيقة وينتهي في العلم بالامور الموجودة على الترتيب الى العلم الالهي الذي اخر مرتبة العلوم ويثق به
ويسكن اليه ويطمئن قلبه ويذهب حيرته وينجلي له المطلوب الاخير حتى يتحد به وهذا الكمال قد بينا الطريق اليه واوضحناه مسائله
في كتب اخر واما الكمال الثاني الذي يكون بالقوة الاخرى اعني القوة العاملة فهو الذي نقصده في كتابنا هذا وهو الكمال
الخلقي ومبداه من ترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا يتغالب وحتى يتسالم هذه القوى فيه ويصدر افعاله
بحسب قوته المميزة منتظما مرتبا كما ينبغي وينتهي الى التدبير المدني الذي يرتب فيه الافعال والقوى بين الناس
حتى ينتظم ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة كما كان ذلك في الشخص الواحد فاذن الكمال الاول
النظري منزلته منزلة الصورة والكمال الذي الثاني العملي منزلته منزلة المادة وليس يتم احدهما الا بالاخر لان
العلم مبدا والعمل تمام والمبدا بلا تمام يكون ضايعا والتمام بلا مبدا يكون مستحيلا وهذا الكمال هو الذي سميناه غرضا
وذلك ان الغرض والكمال بالذات هما شيء واحد وانما يختلفان بالاضافة فاذا نظر اليه وهو بعد في نفس الانسان
لم يخرج الى الفعل فهو غرض واذا خرج الى الفعل وتم فهو كمال وكذلك الحال في كل شيء لان البيت اذا كان متصورا
للباني وكان عالما باجزائه وتركيبه وسائر احواله كان غرضا فاذا اخرجه الى الفعل وتمم كان كمالا فقد صح من جميع ما
قدمناه ان الانسان يصير الى كماله ويصدر عنه فعله الخاص اذا علم الموجودات كلها اي يعلم كلياتها وحدودها
التي هي ذواتها لا اعراضها وخواصها التي يصير بها بلا نهاية فانك اذا علمت كليات الموجودات فقد علمت جزئياتها
بنحو ما لان الجزئيات لا تخرج عن كلياتها فاذا اكملت هذا الكمال فتممه بالفعل المنظوم وترتيب القوى والملكات التي
فيك ترتيبا علميا كما سبق علمك به فاذا انتهيت الى هذه الرتبة فقد صرت عالما وحدك واستحققت ان تسمى
عالما صغيرا لان صور الموجودات كلها قد حصلت في ذاتك فصرت انت هي بنحو ما ونظمتها بافعالك على نحو نظامها
فصرت فيها خليفة لمولاك خالق الكل فلم تخطئ فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكمي فتصير حينئذ عالما تاما والتام
من الموجودات هو الدائم الوجود والدائم الوجود هو الباقي بقاء سرمديا فلا يفوتك حينئذ شيء من النعيم المقيم

لانك بهذا الكمال مستعد لقبول الفيض من المولى تعالى دائما ابدا وقد قربت منه القرب الذي لا يجوز ان يحول
بينك وبينه حجاب وهذه هي الرتبة العليا والسعادة القصوى فلولا ان الشخص الجسد من اشخاص الناس يمكنه تحصيل
هذه المنزلة في ذاته وتكميل صورته بها واتمام نقصانه بالتدريج اليها لكان سبيله سبيل اشخاص الحيوانات الاخر وكسبيل اشخاص النبات
في مصيرها الى الفنا بالاستحالات التي تلحقها والنقصانات التي لا سبيل الى تمامها ولا استحال فيه البقاء الابدي والنعيم السرمدي
بمجاورة رب العالمين ودخول جنته ومن لا يتصور هذه الحالة ولا يتنبه الى علمها من متوسطين في العلم يقع في شكوك
فيظن ان الانسان اذا انتقض تركيبه الجسماني بطل وتلاشى كالحال في الحيوانات والنبات فيستحق اسم الالحاد
ويخرج عن سمة الحكمة وسنة الشريعة وقد ظن قوم ان كمال الانسان وغايته هما في اللذات الحسية وانها هي الخير
المطلوب والسعادة القصوى فظنوا ان جميع قواه الاخر انما ركبت فيه من اجل هذه اللذات والتوصل اليها وان النفس الشريفة التي
سميناها ناطقة انما وهبت له ليرتب بها الافعال ويميزها ثم يوجهها نحو هذه اللذات ليكون الغاية الاخيرة هي حصولها على
النهاية والغاية وظنوا ان قوى النفس الناطقة اعني الذكر والحفظ والروية كلها تراد لتلك الغاية قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر
اللذة التي كانت حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها واحب معاودتها فقد صارت منفعة الذكر والحفظ
انما هي اللذة وتحصيلها لاجل هذه الظنون التي وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد الممتهن وكالاجير المستعمل في خدمة
النفس البهيمية الشهوية ليخدمها في المآكل والمشارب والمناكح وترتبها لها وتعدها اعدادا كاملا موافقا وهذا هو رأي الجمهور من
العامة والرعاع وجهال الناس والسقاط والى هذه الخيرات التي جعلوها غايات يتشوقون وعند ذكر الجنة والقرب من بارئهم عز وجل
وهي التي يسئلونها الرب تبارك وتعالى في دعواتهم وصلواتهم واذا خلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها فانما ذلك
منهم على جهة المتاجرة والمرابحة في هذه بعينها كانهم تركوا قليلها ليصلوا الى كثيرها واعرضوا عن الفانيات منها ليبلغوا الى
الباقيات الا انك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملائكة والخلق الاعلى الاشرف ومن هم منزهون
عنه من هذه القاذورات اعلموا بالجملة انهم اقرب الى الله عز وجل واعلى رتبة من الناس وانهم غير محتاجين الى شيء من حاجات
البشر يعلمون ان خالقهم وخالق كل شيء تعالى الذي تولى ابداع الكل هو منزه عن هذه الاشياء متعال عنها غير موصوف
باللذة والتنعم مع التمكن باتخاذها لنفسه وان الناس يشاركون في هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار الحشرات والهمج
من الحيوانات وانما ناسبوا الملائكة بالعقل والتمييز ثم يجمعون بين هذا الاعتقاد والاعتقاد الاول وهذا هو العجيب وذلك

ذلك انهم يرون عيانا انهم متى تأذوا بالاذى الذى يلحقهم بالجوع والعرى وضروب النقصانات وحاجاتهم الى مداواتها
بما يدفعها عنهم فاذا زالت اثارها وعادوا الى حال السلامة منها التذوا بذلك ووجدوا اللذة لذة ولا يشعرون
انهم اذا اشتاقوا الى لذة الاكل فقد اشتاقوا اولا الى الم الجوع وذلك انهم ان لم يالموا بالجوع لم يلتذوا بالاكل وهكذا
الحال فى سائر اللذات الاخر الا ان هذه الحال فى بعضها اظهر منها فى بعض وسنتكلم على ان صورة الجميع واحدة وان
اللذات كلها انما تحصل للملتذ بعد الام تلحقه وان كل لذة حسية انما هى خلاص من الم واذى فى غير هذا الموضع و
سيظهر عند ذلك ان من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته واقصى سعادته فقد رضى باخس العبودية لاخس
الموالى لانه تصير نفسه الكريمة التى يناسب بها الملائكة عبدا للنفس الدنية التى يناسب بها الخنازير والخنافس وخسائس الحيوانات
التى تشاركه فى هذه الحال وقد تعجب جالينوس فى كتابه الذى سماه باخلاق النفس من هذا الراى وكثر استجهاله
للقوم الذين هذه مرتبتهم من العقل الا انه قال ان هؤلاء الخبثاء الذين سيرتهم سيرة ردية اذا وجدوا انسانا
هذا رايه ومذهبه نصروه وتوهموه ودعوا اليه لانهم يوهمون بذلك انهم غير متفردين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم متى
وصفوا اهل الفضل والنبل من الناس بمثل ما هم عليه كان ذلك عذرا لهم وتمويها على قوم اخرين فى مثل طريقتهم
هؤلاء هم الذين يفسدون الاحداث بايهامهم ان الفضيلة هى ما تدعوهم اليه طبيعة البدن من الملاذ وان تلك
الفضائل الاخر الملكية اما ان تكون باطلة ليست بشىء البتة واما ان تكون غير ممكنة لاحد من الناس والناس ما لم يكونوا
بالطبع الجسدانى الى الشهوات فيكثر اتباعهم ويقل الفضلاء فيهم واذا نبه الواحد بعد الواحد منهم على ان هذه اللذات
انما هى لضرورة الجسد وان بدنه مركب من الطبائع المتضادة اعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وانه
انما يعالج بالماكل والمشارب امراضا تحدث ابدا عند الانحلال فيحفظ تركيبه على حالة واحدة ما امكن ذلك
فيه وان علاج المرض ليس بسعادة تامة والراحة من الالم ليست بغاية مطلقة ولا خير محض وان السعيد التام
هو من لا يعرض له مرض البتة وعرف مع ذلك ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله لقربه لا يلحقهم هذه
الالام فلا يحتاجون الى مداواتها بالاكل والشرب وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف عارضوه بان بعض البشر
اشرف من الملائكة وان الله اجل من ان يذكر مع الخلق وشاغبوه وسفهوا رايه ووقعوا له شبها باطلة حتى يشك فى صحة
ما نبه عليه وارشده عقله اليه والعجب الذى لا ينقضى هو انهم مع رايهم هذا اذا وجدوا واحدا من الناس

قد ترك طريقتهم التي يميلون اليها واستهان بالتنعم واللذة وصام وطوى واقتصر على نبات الارض عظموه وكثر تعجبهم منه
واهلوه للمراتب العظيمة وزعموا انه صفي الله ووليه وانه شبيه بالملك وانه ارفع طبقة من البشر ويخضعون له ويذلون
غاية الذل ويعدون انفسهم اشقياء بالاضافة اليه والسبب في ذلك هو انهم وان كانوا من افن الراي وسفاهة على
ما ترى فان فيهم من آثار القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوي الفضائل فيضطرون
الى اكرامهم وتعظيمهم واذا كانت القوى ثلثا كما قلنا مرارا فادونها النفس البهيمية واوسطها النفس السبعية واشرفها
النفس الناطقة والانسان انما صار انسانا بافضل هذه النفوس اعني الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم
فاشرف الناس من كان حظه من هذه النفس اكثر وانصرافه اليها اتم واوفر ومن غلب عليه احدى النفسين الاخريين انحط عن
مرتبة الانسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر اين تضع نفسك واين تحب ان تنزل من المنازل التي
رتبها الله للموجودات فان هذا امر موكول اليك مردود الى اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون
فيهم وان شئت فانزل في منازل السباع وان شئت ففي منازل الملائكة وكن منهم وفي كل واحد من هذه المراتب
مقامات كثيرة فان بعض البهائم اشرف من بعض وذلك لقبول التاديب لان الفرس انما اشرف على الحمار لقبوله الادب
وكذلك البازي في فضله على الغراب واذا تاملت الحيوان كله وجدت القابل للتاديب الذي هو اثر النطق اعني النفس الناطقة
افضل من سائره وهو يتدرج في ذلك الى ان يصير الى الحيوان الذي هو في افق الانسان اعني الذي هو اكمل البهائم وهو في اخس مرتبة
الانسانية وذلك ان اخس الناس هو من كان قليل العقل قريبا من البهيمة وهم القوم الذين في اقاصي الارض المعمورة وسكان آخر
ناحية الجنوب والشمال لا يتفضلون عن القرود الا بشيء يسير من التمييز وبذلك القدر يستحقون اسم الانسانية ثم يتميزون
ويتزايدون في هذا المعنى حتى يبلغوا الى وسط الاقاليم ويعتدل فيهم المزاج القابل لصورة العقل فيصير فيهم العاقل التام
والمميز العالم ويتفاضلون ايضا في هذا المعنى الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن للانسان ان يبلغ اليه من قبول قوة العقل و
النطق فيصير حينئذ في الافق الذي بين الانسان والملك ويصير فيهم القابل للوحي والمطيق لحمل الحكمة فيفيض عليه
قوة العقل ويسنح اليه نور الحق ولا حالة للانسان اعلى من هذه ما دام انسانا ثم ارجع القهقرى الى النظر في آخر
الناقصة التي هي ادون مراتب الانسانية فانك تجد القوم الذين يضعف فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين
ذكرنا انهم في افق البهائم يقوى فيهم النفس البهيمية فيميلون الى شهواتها الماخوذة بالحواس كالماكول والمشروب والملبوس

وسائر النزوات البهيمية الشبهية بها وهؤلاء هم الذين نجد بهم الشهوات القوية لقوة نفوسهم البهيمية حين يرتكبوها
ولا يرتدعوا عنها وبقدر ما يكون فيهم من القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستتروا بالبيوت ويتواروا في الظلم اذا هموا بلذة
يخصهم وهذا الحياء منها هو الدليل على قبحها فان الجميل بالاطلاق هو الشئ الذى يتظاهر به ويستحب اخراجه واذاعته
وهذا القبيح ليس بشئ من النقصانات اللازمة للبشر وهم يشتاقون الى ازالتها فالحمها هو نقصها وانقصها احوجها الى
الستر والدفن ولو سئلت القوم الذين يعظمون امر اللذة ويجعلونها الخير المطلوب والغاية الانسانية لم تكتمون
الوصول الى اعظم الخيرات عندكم وما بالكم تعدون موافقتها خيرا ثم تستترونها وترمون سترها وكتمانها فضيلة
ومروة وانسانية والمجاهرة بها واظهارها بين اهل الفضل وفى مجامع الناس خساسة وقحة يظهر من انقطاعهم
وتبلدهم فى الجواب ما تعلم به سوء مذهبهم وخبث سيرتهم واقلهم حظا من الانسانية اذا راى انسانا فاضلا احتشم
ووقره واحب ان يكون مثله الا الشاذ منهم الذى يبلغ من خساسة الطبع ونزارة الانسانية وقساحة الوجه
الى ان يقيم على نضرة ما هو عليه من غير محبة لرتبة من هو افضل منه فاذا يجب على العاقل الى ان يعرف ما ابتلى به
الانسان من هذه النقصانات التى فى جسمه وحاجاته الضرورية الى ازالتها وتكميلها اما بالغذاء الذى يحفظ اعتدال
مزاجه وقوام حياته فينال منه قدر الضرورة فى كماله ولا يطلب اللذة بعينها بل قوام الحيوة التى يتبعها اللذة فان تجاوز
ذلك قليلا فبقدر ما يحفظ رتبته فى مرتبته ولا ينسب الى الدناءة والبخل بحسب حاله ومرتبته بين الناس واما باللباس الذى
يدفع اذى الحر والبرد وليستر العورة فان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يستحقر ولا ينسب الى الشح على نفسه والى ان يسقط بين
اقرانه واهل طبقته واما بالجماع الذى يحفظ نوعه ويبقى به صورته اعنى طلب النسل فان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يخرج
به عن السنة ولا يتعدى ما يملكه الى ما يملك غيره ثم يلتمس الفضيلة فى نفسه العاقلة التى بها صار انسانا وينظر
الى النقصانات التى فى هذه النفس خاصة فيروم تكميلها بطاقته وجهده فان هذه الخيرات هى التى لا تستر
اذا وصل اليها ولا يمتنع منها بالحياء ولا يتوارى عنها بالحيطان والظلمات ويتظاهر بها ابدا بين الناس وفى المحافل
وهى التى بها يكون بعض الناس افضل من بعض وبعضهم اكثر انسانية من بعض ويغذو هذه النفس بغذائها الموفق
لها المتمم لنقصاناتها كما يغذو تلك باغذيتها الملائمة لها فان غذاء هذه هو العلم والزيادة فى المعقولات والارتياض
بالصدق فى الاراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان والنفور من الباطل والكذب كيف كان ومن اين جاء

فمن اتفق له في الصبا ان يربى على الادب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق
حتى يتاكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان
ولا يسكن الا اليهما ثم يتدرج كما رسمناه في كتاب الموسوم بترتيب السعادات ومنازل العلوم حتى يبلغ الى اقصى مرتبة الانسان
فهو السعيد الكامل فليكثر حمد الله عز وجل على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة ومن لم يتفق له ذلك في مبدء نشوه ثم ابتلي
بان يربيه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول اكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات كما
يوجد في شعر امرء القيس والنابغة واشباههما ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقربونه على روايتها وقبول مثلها ويجزلون العطية
وافتخر باقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمانية ومال طبعه الى الاستكثار من المطاعم والمشارب والمراكب والزينة وارتباط
الخيل الفرهة والعبيد الروقة كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الاوقات ثم انهمك فيها واشتغل بها عن السعادة التي اهل لها
فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيما وخسرانا لا ربحا وليجتهد على التدريج الى فطام نفسه منها وما اصعب ذلك الا انه على حال خير من
التمادي في الباطل **وليعلم الناظر** في هذا الكتاب اني خاصة قد تدرجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة
جهادا عظيما **واوصيك** ايها الفاحص عن الفضائل والطالب للادب الحقيقي بما اوصيت لنفسي بعد تجاربي في النصيحة التي
الى ان اشرت عليك بما فاتني في ابتداء امري لتتداركه انت ودللتك على طريق النجاة قبل ان تتيه في مفاوز الضلالة ثم وقدمت
لك السفينة قبل ان تغرق في بحر المهالك **فالله** الله في نفوسكم معاشر الاخوان والاولاد واستسلموا للحق وتأدبوا
بالادب الحقيقي لا المزور وخذوا الحكمة البالغة واتبعوا الصراط المستقيم وتصوروا حالات انفسكم وتذكروا قواها واعلموا ان اصح
مثل ضرب لكم من انفسكم الثلاث التي مر ذكرها في المقالة الاولى مثل ثلاث حيوانات مختلفة جمعت في رباط واحد ملك وسبع و
خنزير فايما غلب القوي قوة الباقين كان الحكم له **وليعلم** من تصور هذا المثل ان النفس لما كان جوهرها غير جسم ولا فيها شيء من قوى الجسم
واعراضه كما بينا ذلك في صدر الكتاب كان اتحادها واتصالها بخلاف اتحاد الاجسام واتصال بعضها ببعض وذلك ان هذه
الانفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئا واحدا ومع انها تكون شيئا واحدا هي باقية التغاير باقية القوى تتفرد الواحدة
بعد الواحدة حتى كانها لم تتصل بالاخرى ولم تتحد بها او تتعدى ايضا الواحدة للاخرى حتى كانها غير موجودة ولا لها
قوة ينفرد بها وذلك ان اتحادها ليس بان يتصل نهاياتها ولا بان يتلاقى سطوحها كما يكون ذلك في الاجسام
بل يصير في بعض الاحوال شيئا واحدا وفي بعض الاحوال اشياء مختلفة بحسب ما يهيج قوة بعضها او تسكن ولذلك قال

قال قوم ان النفس واحدة ولها قوى وقال آخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالموضوع وهذا شيء يخرج الكلام فيه عن غرض
الكتاب وسنمر بك في موضعه وليس يضرك في هذا الوقت ان تعتقد اي الآراء شئت بعد ان تعلم ان بعض هذه كريمة ادبية
بالطبع وهذا بهيمية عادمة للادب لا انها تقبل التاديب وتنقاد للتي هي ادبية **اما الكريمة الادبية** بالطبع فالنفس
الناطقة **واما العادية** للادب وهي مع ذلك غير قابلة له فهي النفس البهيمية **واما** التي عدمت الادب ولكنها تقبل
تقبله وينقاد له فهي النفس الغضبية وانما وهب الله لنا هذه النفس خاصة لنستعين بها على تقويم البهيمية التي لا
الادب وقد شبهت القدماء الانسان وحاله في هذه الانفس الثلاث بانسان راكب بهيمة قوية يقود كلبا او فهدا
للقنص فان كان الانسان من بينهم هو الذي يروض دابته وكلبه يصرفهما ويطيعانه في سيره وتصيده وساير متصرفاته
فلا شك في رغد العيش المشترك بين الثلاثة وحسن احوالهم لان الانسان يكون مرفها في مطالبه يجري
فرسه حيث يجب وكما يجب ويطلق كلبه ايضا لذلك واذا نزل واستراح اراحهما معه واحسن القيام عليهما وازاح علتهما في
المطعم والمشرب وكفاية الاعداء في غير ذلك من مصالحهما واذا كانت البهيمية هي الغالبة ساءت حال الثلاثة كلهم
وكان الانسان مضعوفا عندها فلم يطع فارسها وعابت فان رات عشبا من بعيد عدت نحوه وتعسفت في عدوها
وعدلت عن الطريق النهج فاعترضها الاودية والوهاد والشوك والشجر فقحمتها وتورطت فيها وتحول فارسها ما لحق مثله في هذه
الاحوال فيصيبها جميعا من انواع المكاره والاشراف على الهلكة ما لا خفاء به وكذلك ان قوي الكلب لم يطع صاحبه فان
راى من بعيد صيدا اخذ نحوه فجذب الفرس وفارسه ويلحق الجميع من الضر والضرر اضعاف ما ذكرناه وفي تصور هذا المثل
الذي ضربه القدماء ينبه على حال هذه النفوس بعضها عند بعض ودلالة على ما وهبه الله عز وجل للانسان ومكنه
منه وعرضه له وما يضيعه بعصيانه خالقه تعالى فيها عند اهمال السياسة واتباعه امرها بين القوتين اللتين يعبد
لهما وهما اللذان ينبغي ان يتبعاه بامره عليهما **فمن** اسوء حالا ممن اهمل سياسة الله وضيع نعمته عليه وترك هذه القوى
فيه هائجة مضطربة تتغالب وصار الرئيس مرؤوسا والملك فيها مستعبدا نعوذ بالله من الانتكاس في الخلق الذي
سببه طاعة الشياطين والاتباع الابالسة فليفتش الانسان بها الى غير هذه القوى التي وصفناها ووصفنا
احوالها ونسئل الله عصمته ومعونته على تهذيب هذه النفوس حتى تنتهي فيها الى طاعته التي هي مصالحنا وبها نجاتنا
وخلاصنا الى الفوز الاكبر والنعيم السرمد **فقد** علمنا الآن ان النفس العاقلة اذا عرفت شرف نفسها واستنت

مرتبتها من الله عز وجل لحسنت خلافته فی ترتیب هذه القوی وسیاستها وتهذیبها بالقوة التی اعطاها الله لها لیعلمها
من کرامة الله ومنزلتها من العلو والشرف ولم تخضع للسبع ولا للبهیمة بل یقوم النفس الغضبیة التی سمیناها سبعیة
وتقودها الی الادب بحملها علی حسن طاعتها ثم یستنهضها فی وقت هیجان النفس البهیمیة وحرکتها الی الشهوات حتی تقمع
بهذه سلطان تلک وتستخدمها فی تادیبها وتستعین بقوة هذه علی تابی تلک وذلک ان هذه النفس الغضبیة قابلة
للادب قویة علی قمع الاخری کما قلنا وتلک النفس البهیمیة عادمة للادب غیر قابلة له فاما النفس الناطقة اعنی
العاقلة فهی کما قال افلاطون بهذه الالفاظ اما هذه فبمنزلة الذهب فی اللین والانعطاف واما تلک فبمنزلة الحدید
فی الصلابة والامتناع فاذا انت آثرت الفعل الجمیل فی وقت وجاذبتک القوة الاخری الی اللذة والی خلاف ما آثرت فاستعن
بقوة الغضب التی تثور وتهیج بالانفة والحمیة واقهر بها النفس البهیمیة فان غلبتک مع ذلک ثم ندمت وانفت وانت فی
طریق الصلاح فتمم عزیمتک واحذر ان تعاودک بالطمع فیک والغلبة لک فان لم تفعل ذلک ولم تکن العقبی فی الغلبة
لک کنت کما قال الحکیم الاول انی اری اکثر الناس یدعون محبة الافعال الجمیلة ثم لا یحتملون المؤنة فیها علی علمهم بفضلها
فیغلبهم الرقة ومحبة البطالة فلا یکون بینهم وبین من لا یحب الجمیل فرق اذا لم یحتملوا مؤنة الصبر ویصبروا الی تمام ما آثروه وعرفوا
فضله واذکر مثل البئر الذی تردی فیه البصیر والاعمی فیکونان فی الهلکة سواء الا ان الاعمی عذر ومن یصل من هذه الاداب
الی مرتبة یعتد بها ویکتسب بها الفضائل التی عددناها فقد وجب علیه تادیب غیره وافاضة ما اعطاه الله علی ابناء جنسه

فصل فی تادیب الاحداث والصبیان نقلت اکثره من کتاب بروسن فقد قلنا فیما تقدم ان اول قوة تظهر فی الانسان
اول ما یکون هی القوة التی یشتاق بها الی الغذاء الذی هو سبب کونه حیا فیتحرک بالطبع الی اللبن ویلتمسه من الثدی
الذی هو معدنه من غیر تعلیم ولا توقیف ویحدث له مع ذلک قوة علی التماسه بالصوت الذی هو مادته ودلیله
الذی یدل به علی اللذة والاذی ثم تتزید فیه هذه القوة ویتشوق بها الی الازدیاد والتصرف بها فی انواع الشهوات
ثم یحدث فیه علی التحرک نحوها بالآلات التی تخلق له ثم یحدث له الشوق الی الافعال التی یحصل له هذه ثم یحدث
له من الحواس قوة علی تخیل الامور ویرتسم فی قوته الخیالیة مثالات فیتشوق الیها ثم تظهر فیه قوة الغضب التی یشتاق بها
الی دفع ما یؤذیه ومقاومة ما یمنعه من منافعه فان اطاق بنفسه ان ینتقم من مؤذیه انتقم منه والا استعان بغیره واستصرخ
بوالدیه بالتصویت والبکاء ثم یحدث له الشوق الی تمییز الافعال الانسانیة خاصة اولا اولا حتی یصیر الی کماله فی هذا

هذا التميز فيستحي حينئذ عاقلا وهذه القوى كثيرة وبعضها ضرورية في وجود الاخرى الى ان ينتهي الى الغاية الاخيرة وهي التي
لا يراد لغاية اخرى وهو الخير المطلق الذي يتشوقه الانسان من حيث هو انسان فاول ما يحدث فيه من هذه
القوى الحياء وهو الخوف من ظهور شئ قبيح منه ولذلك قلنا اول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل
به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد احس بالقبيح ومع احساسه به هو يحذره ويجتنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه
فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحييا مطرقا رامياً بطرفه الى الارض غير وقاح الوجه ولا محدقاً اليك فهو اول دليل
على نجابته والشاهد لك على ان نفسه قد احست بالجميل والقبيح وان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه
وهذا ليس بشئ اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتميز والعقل وهذه النفس مستعدة للتاديب صالحة للعناية لا يجب
ان يهمل ولا يترك ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة من كان بهذه الحال من الاستعداد
لقبول الفضيلة فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستطعمه اهل الشره ويقبح عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجة
بدنه او ما لا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب في الالوان الكثيرة واذا جلس مع غيره ولا يبادر الى الطعام
ولا يديم النظر الى الوانه ولا يحدق اليه شديدا ويقتصر على ما يليه ولا يسرع في الاكل ولا يوالي بين اللقم
بسرعة ولا يعظم اللقم ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ولا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يواكله ولا يتبع بنظره
مواقع يده من الطعام ويعود ان يوثر غيره مما يليه ان كان افضل مما عنده ثم يضبط شهوته حتى يقتصر
على ادنى الطعام وادونه وليأكل الخبز القفار الذي لا ادم معه في بعض الاوقات وهذه الاداب وان كانت
جميلة بالفقراء فهي اجمل بالاغنياء وينبغي ان يستوفي غذاءه بالعشي فانه ان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى
النوم وتبلد فهمه مع ذلك وان منع اللحم في اكثر اوقاته كان نافعا بالحركة والتيقظ وقلة البلادة وبعثه على النشاط و
الخفة فاما الحلوا والفاكهة فينبغي ان يمنع منها البتة ان امكن والا فليتناول اقل ما يمكن ثم يستحيل في بدنه
فيكثر انحلاله ويعوده مع ذلك الشره ومحبة الاستكثار من المآكل ويعود ان لا يشرب في خلال طعامه الماء فاما
النبيذ واصناف الاشربة المسكرة فاياه واياها فانها تضره في بدنه ونفسه وتحمله على سرعة الغضب والتهور والاقدام على القبائح
وعلى القحة وسائر الخلال المذمومة ولا ينبغي ان يحضر مجالس اهل النبيذ الا ان يكون اهل المجلس الادباء فضلاء فاما
غيرهم فلا لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجري فيه وينبغي ان لا ياكل حتى يفرغ من وظائف الادب التي

يتعلمها ويتعب تعبا كافيا وينبغي ان يمنع من كل فعل يفعله في خفية فانه ليس يخفي شيئا الا وهو يظن ويعلم انه قبيح ويمنع
من النوم الكثير فانه يفخمه ويغلظ ذهنه ويميت خواطره هذا بالليل فاما بالنهار فلا ينبغي ان يتعود البتة ويمنع
ايضا الفراش الوطي وجميع انواع الترفه والتفنخ حتى تصلب بدنه ويتعود الخشونة ولا يتعود الخيش الا سراويل ولا الا دثار و
النيران في الشتاء للاسباب التي ذكرناها ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها ويعود ان
لا يكشف اطرافه ولا يسرع في مشيه ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ولا يربي شعره ولا يزين بملابس النساء و
يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه ولا يفخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده ولا بشيء من ماكله وملابسه وما يجري مجراها
بل يتواضع لكل واحد ويكرم كل من عاشره ولا يتوصل بشرف ان كان له او سلطان من اهله ان اتفق له الى غصب من
هو دونه او استبداد من لا يمكنه ان يرده عن هواه او تطاول عليه كمن اتفق له انه كان خاله وزيرا او عمه سلطانا فانطلق
به الى هضيمة اقرانه وتلو اخوانه واستباحة اموال جيرانه ومعارفه وينبغي ان يعود ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا
بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمل رأسه بيده فان هذا دليل الكسل وانه
قد بلغ به التفنخ الى ان لا يحمل رأسه حتى يستعين بيده ويعود ان لا يكذب ولا يحلف البتة لا صادقا ولا كاذبا فان هذا
قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الاوقات فاما الصبي فلا حاجة به الى اليمين ويعود ايضا الصمت وقلة الكلام
وان لا يتكلم الا جوابا واذا حضر من هو اكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له ويمنع من خبيث الكلام ومن هجينه ومن
السب واللعن ولغو الكلام ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه ولا يرخص له ان يسمع اضدادها من غيره ويعود
خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان اكبر منه واحوج الصبيان الى هذه الاداب اولاد الاغنياء والمترفين وينبغي اذا
ضربه المعلم ان لا يصرخ ولا يستشفع باحد فان هذا فعل المماليك ومن هو خوار ضعيف ولا يعير احدا
الا بالقبيح والسيء من الاداب ويعود ان يبر الصبيان وان يكافيهم على الجميل باكثر منه لئلا يتعود الربح على الصبيان
وعلى الصديق ويبغض اليه الفضة والذهب ويحذر منهما اكثر من تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي
فان افة حب الفضة والذهب اكثر من افة السموم وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات ان يلعب لعبا جميلا
ليستريح اليه من تعب الادب ولا يكون في لعبه الم ولا تعب شديد ويعود طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وان
ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم فان هذه الاداب نافعة لهم وهي للكبار من الناس ايضا نافعة ولكنها

لكنها للاحداث انفع لانها تعودهم محبة الفضايل وينشأون عليها ولا يثقل عليهم تجنب الرذائل ويسهل عليهم
بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة
ويكفهم عن الانهماك فى شئ منها والفكر الكثير فيها ويسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية ويرقيهم الى معالى الامور التى
وصفناها فى اول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملائكة مع حسن الحال فى الدنيا وطيب العيش
وجميل الاحدوثة وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين فى مودته من الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الدرجة
وبلغ امامه الى ان يفهم اغراض الناس وعواقب الامور فهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التى يقصدها
الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش واشباه ذلك انما هو تسوية البدن وحفظ
صحته وان يبقى على اعتداله مدة ما وان لا يقع فى الامراض ولا يفجأه المنية وان يتهيأ بنعمة الله عز وجل عليه ويستعد
لدار البقاء والحيوة السرمدية وان اللذات البدنية كلها بالحقيقة هى خلاص من الام وراحات من تعب فاذا عرف
ذلك وحققه ثم يعوده بالسيرة الدايمة عود الرياضات التى تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفى الكسل وتطرد
البلادة وتبعث النشاط وتذكى النفس فمن كان مولدا مترفا كانت هذه الاشياء التى رسمتها اصعب عليه لكثرة من
يخلف به ويغريه ولموافقة طبيعة الانسان فى اول ما ينشأ هذه اللذات ولاجماع جمهور الناس على نيل ما امكنهم منها
وطلب ما تعذر عليهم بغاية جهدهم فاما الفقراء فالامر عليهم اسهل بل هم قريبون الى الفضايل قادرون عليها
متمكنون من نيلها والاصابة منها وحال المتوسطين من الناس متوسطة فى هاتين الحالتين وقد كان ملوك
الفرس الفضلاء لا يربون اولادهم بين حشمهم وخواصهم خوفا عليهم من الاحوال التى ذكرتها وكانوا ينفذونهم
الى النواحى البعيدة منهم ومن سماع ما حذرت منه فكان يتولى تربيتهم اهل الجفاء وخشونة العيش ومن
لا يعرف التنعم والترفه واخبارهم فى ذلك مشهورة وكثير من رؤساء الديلم فى زماننا هذا ينقلون اولادهم عند
ما ينشأون الى بلادهم ليتعودوا بها هذه الاخلاق ويبعدوا عن الترفه وعادات اهل البلدان الردية **واذ قد**
عرفت هذه الطرق المحمودة فى تاديب الاحداث فقد عرفت اضدادها اعنى ان من نشأ على خلاف هذا المذهب
والتاديب لم يرج فلاحه ولا ينبغى ان يشتغل باصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشى الذى لا يطمع فى
رياضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الغضبية فهى منهمكة فى مطالب البهائم من الشهوات فكما لا [illegible]

الرياضة من نشأ على هذه الطريقة واعتادها او امعن قليلا في السن الا ان يكون بجميع احواله عالما بقبح
سيرته ذاما لها عاتبا على نفسه عازما على الاقلاع والانابة فان مثل هذا الانسان قد يرجى له النزوع عن
اخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة وبمصاحبة الاخيار واهل الحكمة وبالاكباب على التفلسف

واذ قد ذكرنا الخلق المحمود وما ينبغي ان يؤخذ به الاحداث والصبيان فنحن واصفون جميع القوى التي تحدث في
الحيوان اولا اولا الى ان ينتهي اقصى الكمال فانك شديد الحاجة الى معرفة ذلك لتبتدئ على الترتيب الطبيعي في تقويم
واحد واحد منها **فنقول** ان الاجسام الطبيعية كلها تشترك في الحد الذي يعمها ثم تتفاضل بقبول الآثار
الشريفة والصور التي تحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها افضل من الطينة
الاولى التي لا تقبل تلك الصورة فاذا بلغ الى ان يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة افضل من الجماد
وتلك الزيادة هي الاغتذاء والنمو والامتداد في الاقطار واجتذاب ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه
وبعض الفضول التي يتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ وهذه هي الاشياء التي تفضل بها النبات من
الجماد وهي حال زائدة على الجسمية التي حددناها وكانت حاصلة في الجماد وهذه الحالة الزائدة في النبات التي شرف
بها على الجماد يتفاضل وذلك ان بعضه يفارق الجماد مفارقة يسيرة ثم يتدرج فيها فيحصل من هذه الزيادة شئ بعد شئ
فبعضها ينبت من غير بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر والنوى والبزر ويكفيه في حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع
الشمس فلذلك هو في افق الجمادات وقريب الحال منها ثم تزداد هذه الفضيلة في النبات فيفضل بعضه على بعض
بنظام وترتيب حتى يظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبذر الذي يخلف به مثله فيصير هذه الحال زائدة فيه
ومميزة له عن حال ما قبله ثم يقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثاني كفضل الثاني على الاول
ولا يزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى افقه ويصير في افق الحيوان وهي كذا في الشجر كالزيتون والرمان
والكرم واصناف الفواكه الا انها بعد مختلطة القوى اعني ان قوى ذكورها واناثها مختلطات غير
متميزتين فهي تحمل وتولد المثل ولم يبلغ غاية افقها التي يتصل بافق الحيوان ثم يزداد ويمعن في هذا الافق الى
ان يصير في افق الحيوان فلا يحتمل زيادة وذلك انها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا وخرجت عن افق
النبات فتميز قواها ويحصل فيها ذكورة واناث ويقبل من فضائل الحيوان امورا يتميز بها عن سائر النبات و

والشجر كالنخل الذی طالع افق الحیوان بالخواص العشرة المذکورة فی مواضعها ولم یبق بینه وبین الحیوان الا مرتبة واحدة
وهی الانقلاع من الارض والسعی الی الغذاء **وقد روی** فی الخبر ما هو کالاشارة او کالرمز الی هذا المعنی وهو قوله صلی الله
علیه واله وسلم اکرموا عمتکم النخلة فانها خلقت من بقیة طینة ادم فاذا تحرک النبات وانقلع من افقه وسعی الی
غذائه ولم یتقید فی موضعه الی ان یصیر الیه غذاؤه وتکونت له الات اخر متناول بها حاجات التی تکمله فقد صار حیوانا
وهذه الالات یتزاید فی الحیوان من اول افقه ویتفاضل فیه ویشرف بعضها علی بعض کما کان ذلک فی
النبات فلا یزال یقبل فضیلة بعد فضیلة حتی یظهر فیها قوة الشعور باللذة والاذی فیلتذ بوصوله الی منافعه
ویتألم بوصول مضاره الیه ثم یقبل الهام الله عز وجل ایاه فیهتدی الی مصالحه ویطلبها والی اضدادها فیهرب
منها وما کان من الحیوان فی اول افق النبات فانه لا یتزاوج ولا یخلف المثل بل یتولد فقط کالدیدان والذباب
واصناف الحشرات الخسیسة ثم یتزاید فیها قبول الفضیلة کما کان ذلک فی النبات سواء ثم یحدث فیه
قوة الغضب التی ینهض بها الی دفع ما یؤذیها فیعطی من السلاح بحسب قوتها وما یطیق استعماله فان کانت قوته الغضبیة شدیدة
کان سلاحه قویا تاما وان کانت ناقصة کان ناقصا وان کانت ضعیفة جدا لم یعط سلاحا البتة
بل یعطی الة الهرب کشدة العدو والقدرة علی الحیل التی تنجیه من مخاوفه وانت تری ذلک عیانا من الحیوان
التی اعطی القرون التی یجری له مجری الرماح والذی اعطی الانیاب والمخالب التی یجری له مجری السکاکین
والخناجر والذی اعطی المرمی الذی یجری له مجری النبل والنشاب والذی اعطی الحوافر التی یجری له مجری
الدبوس والطبرزین فاما ما لم یعط سلاحا لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبیة ولانه لو اعطیه
لصار کلا علیه فقد اعطی الة الهرب والحیل بجودة العدو والخفة والختل والمراوغة کالارانب والثعالب واشباهها
واذا تصفحت احوال الموجودات والسباع والوحش والطیر رایت هذه الحکمة مستمرة فیها فتبارک الله احسن الخالقین
فاما الانسان فقد عرض من هذه الالات کلها بان هدی الی استعمالها کلها وسخرت هذه کلها له وسنتکلم فی
ذلک فی موضعه واما اسباب هذه الاشیاء والشکوک التی تعترض فی قصد بعضها بعضا بالتلف وانواع الالم والاذی فلیس یلیق
بهذا الموضع وسنذکرها ان شاء الله فی الاجل عند بلوغنا الی الموضع الخاص به ونعود الی ذکر مراتب الحیوان **فنقول** ان ما اهتدی
منها الی الازدواج وطلب النسل وحفظ الولد وتربیته والاشفاق علیه بالکن والعش والکناس کما نشاهده

فبما يلذ ويبغض وتغذيته اياها باللبن ثم بما ينقل الغذاء اليه فانه افضل مما لا يهتدي الى شيء منها ثم لا تزال هذه الاحوال
تتزايد في الحيوان حتى تقرب من افق الانسان فحينئذ يقبل التاديب ويصير بقبوله الادب في فضيلة يتميز بها من سائر الحيوانات
الاخر ثم تتزايد هذه الفضيلة في الحيوانات حتى يتشرف بها ضرب الشرف كالفرس المؤدب والباز المعلم ثم يصير من هذه
المرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعليم كالقردة وما اشبهها ويبلغ من ذكائها
الى ان يكتفي في التاديب بان يرى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله من غير ان يحوج الانسان الى تعب بها ورياضة
لها وهذه غاية افق الحيوان التي ان يجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج لها عن افقه وصار في افق الانسان الذي
يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات التي يستعملها والصور التي تلائمها فاذا بلغ هذه المرتبة تحرك الى المعارف واشتاق
الى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على الترقي والامعان في هذه الرتبة كما كان
ذلك في المراتب الاخر التي ذكرناها واول هذه المراتب من الافق الانساني المتصلة باخر ذلك الافق الحيواني مراتب الناس الذين
يسكنون في اقاصي المعمورة من الشمال والجنوب كاواخر الترك من بلاد ياجوج وماجوج واواخر الزنج واشباههم من الامم
التي لا تتميز عن القرود الا بمرتبة يسيرة ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى ان يصيروا الى وسط الاقاليم فيحدث فيهم الذكاء و
سرعة الفهم وقبول الفضائل والى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالموجودات المحسوسة ثم يستعد بهذا
القبول لاكتساب الفضائل واقتناء الآداب بالارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه فيما تقدم حتى يصل الى آخر
افقه فاذا صار الى آخر افقه اتصل باول افق الملائكة وهذه اعلى مرتبة الانسان وعندها تتحد الموجودات و
يتصل اولها باخرها واخرها باولها وهو الذي يسمى **دائرة الوجود** لان الدائرة هي التي قيل في حدها انها خط
واحد يبتدئ بالحركة من نقطة وينتهي اليها بعينها ودائرة الوجود هي المتحدة التي جعلت الكثرة وحدة وهي التي تدل
دلالة صادقة برهانية على وحدانية موجدها وحكمته وقدرته وجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقدس ذكره ولولا ان
شرح هذا الموضع لا يليق بصناعة تهذيب الاخلاق لشرحته وانت تقف عليه ان بلغت اليه بمشية الله وقد 201
تصورت قدر ما اومانا اليه وفهمته اطلعت على الحالة التي خلقت لها وندبت اليها وعرفت الافق الذي يتصل بافقك
من فوق مرتبة بعد مرتبة وركوبك طبقا عن طبق وحدث لك الايمان الصحيح وشهدت ما غاب عن غيرك من الدهماء و
بلغت الحال ان يندرج الى العلوم الشريفة المكنونة التي مبدأها العلم المنطقي فانه الآلة في تقويم الفهم والعقل الغريزي

ثم الوصول به الى معرفة الخلائق وطبائعها ثم التعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهية وحينئذ
يستعد لقبول مواهب الله عز وجل وعطاياه ويأتيك الفيض الالهي وتسكن عن قلق الطبيعة وحركاتها نحو الشهوات
الحيوانية وتلحظ المراتب التي ترقيت منها اولا اولا من مراتب الموجودات وعلمت ان لكل مرتبة منها محتاجة الى ما قبلها
ونحو ما بعدها وعلمت ان الانسان لا يتم له كماله الا بعد ان يحصل له ما قبله وانه اذا صار انسانا كاملا وبلغ غايته اشرق
نور الافق الاعلى عليه وصار اما حكيما تاما تأتيه الالهامات فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكمية والتأييدات العلوية
في التصورات العقلية واما نبيا مؤيدا يأتيه الوحي على ضروب المنازل التي تكون له عند الله عز وجل فيصير حينئذ واسطة
بين الملأ الاعلى والملأ الاسفل وذلك يتصور بمعرفة الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من حال الانسية ومطالعة
الافاق التي ذكرناها وحينئذ يفهم عن الله عز وجل قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ويتصور معنى قول رسول
الله صلى الله عليه وآله هناك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذا بلغنا الكلام الى ذكر
هذه المنزلة العالية الشريفة التي اهل الانسان لها وتستقصي المراتب التي يترقى فيها وانه يكون اولا بالشوق الى المعارف
والعلوم فينبغي ان نزيد في بيانه وشرحه **فنقول** ان هذا الشوق ربما ساق الانسان على منهاج قويم وقصد صحيح
حتى يتأدى الى غاية كماله وهي سعادته التامة وقلما يتفق ذلك وربما اعوج به عن السمت والسنن وذلك
لاسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بك الى علمها الان وانت في تهذيب خلقك فكما ان الطبيعة المدبرة
للاجسام ربما اشتاقت الى ما ليس تمام الجسم الطبيعي لعلل تحدث به واوقات تطرأ عليه بمنزلة من يشتاق الى اكل الطين
وما جرى مجراه مما لا يحمل طبيعة الجسد بل يهدمه ويفسده كذلك ايضا النفس الناطقة ربما اشتاقت الى النظر والتمييز
الذي لا يكملها ولا يسوقها نحو سعادتها بل يحركها الى الاشياء التي تعوقها وتقصر بها عن كمالها فحينئذ يحتاج الى علاج
نفساني وروحاني كما احتاج في الحالة الاولى الى طب طبيعي جسماني ولذلك يكثر حاجات الناس الى المقومين
والمثقفين والى المؤدبين والمسددين فان وجود تلك الطبائع الفائقة التي ينساق بذاتها من غير توقيف الى السعادة
عسيرة الوجود لا يوجد الا في الازمنة الطوال والمدد البعيدة وهذا الادب الحق الذي يؤدينا الى غايتنا يجب ان يلحظ
فيها المبدأ الذي يجري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرج منها الى الامور الطبيعية على طريق التحليل ثم
يبتدأ من اسفل على طريق التركيب فيسلك فيها الى ان ينتهي الى الغاية التي لحظت اولا وهذا هو المعنى الذي

اخرجنا فى مبدء هذا الكتاب فى فصول اخر منه ان يذكر اشياء عالية لا يليق بهذه الصناعة ليتشوق اليها من يستعد لها ليس يمكن الانسان ان يشتاق الى ما لا يعرفه البتة فاذا لحظها من فيه قبول لها وعناية بها عرفها بعض المعرفة فيتشوقها وسعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها **وينبغى** ان يعلم ان كل انسان معد نحو فضيلة ما فهو اليها اقرب والوصول اليها احرى ولذلك ما تصير سعادة الواحد من الناس غير سعادة الآخر الا ان اتفقت له نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهى الى غايات الامور والى غايات غاياتها اعنى السعادة القصوى التى لا سعادة بعدها ولاجل ذلك يجب على مدبر المدن ان يشوق كل انسان نحو سعادته التى يخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين احدهما فى تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية والآخر فى تسديدهم نحو الصناعات والاعمال الحسية واذا اسدهم نحو السعادة بدأ بهم من الغاية الاخيرة على طريق التحليل ووقف بهم عند القوى التى ذكرناها واذا اسدهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى بهم الى تلك الغايات **ولما كان** غرضنا فى هذا الكتاب السعادة الخلقية وان يصدر عنا الافعال كلها جميلة كما رسمنا فى صدر هذا الكتاب وجعلناه الجزء العملى من الحكمة لا العلمى وكان النظر يتقدم العمل وجب ان نذكر الخير المطلق والسعادة الانسانية لتلحظ الغاية الاخيرة ثم نطلب بالافعال الارادية التى ذكرنا فى المقالة الاولى وارسطاطاليس ينابذ اكثرهم فى هذا الموضع افتتحه بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق ونحن نذكر ما قاله ونتبعه بما اخذناه ايضا عنه فى مواضع اخر ليجتمع لنا ما فرقه ونضيف الى ذلك ما اخذناه عن مفسرى كتبه والمستقلين بحكمته بحسب استطاعتنا والله الموفق والمؤيد فان الخيرات بيده وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلوته على نبيه محمد واله

تمت المقالة الثانية

نبدأ بمعونة الله تعالى فى هذه المقالة بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد ان نحكى الفاظ ارسطو اقتداء به وتوفية لحقه **فنقول** ان الخير على ما حدّه واستحسنه من اراء المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الاخيرة وقد يسمى الشئ النافع فى هذه الغاية خيرا فاما السعادة فهو الخير بالاضافة الى صاحبها وهى كمال له فالسعادة اذن خير ما وقد يكون سعادة الانسان غير سعادة الفرس وسعادة كل شئ فى تمامه وكماله الذى يخصه فاما الخير الذى يقصده الكل بالشوق فهو طبيعة وقصد ولها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم باجمعهم مشتركون فيها واما السعادة فهو خير بالواحد واحد من الناس فهى اذن بالاضافة وليس لها ذات بعينه وهى يختلف بالاضافة الى قاصديها فلذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه وقد نظن ان السعادة يكون لغير الناطقين فان كان ذلك فانما هى استعارات

استعدادات فيها القبول تماما تماما ... كالاتها عن غير قصد ولا روية ولا ارادات فتلك الاستعدادات هي الشوق او ما يجري مجرى الشوق من الناطقين بالارادة فاما ما يناله الحيوانات في ماكلها ومشاربها وراحاتها فينبغي ان يسمى بختا او اتفاقا ولا يؤهل لاسم السعادة كما يسمى في الانسان ايضا وانما استحق ذلك الحد الذي ذكرناه الخير المطلق لان العقل لا يطلق السوق والحركة الا الى نهاية وهذا اول في العقل ومثال ذلك ان الصناعات والعلوم والتدابير الاختيارية كلها يقصد بها خير ما وما لم يقصد به خير فهو عبث والعقل يخطئه ويمنع منه فبالواجب صار الخير المطلق المقصود هو ما اليه من كل الناس ولكن بقي ان يعلم ما هو وما الغاية الاخيرة منه التي هي غاية الخيرات التي يرتقي الخيرات كلها اليها حتى يجعل ذلك الخير غرضنا ونتوجه اليه ولا ننشر افكارنا في الخيرات الكثيرة التي تؤدي اليها اما تادية بعيدة واما تادية قريبة ولا يغلط ايضا فيما ليس بخير فنظنه خيرا ويفنى اعمارنا في طلبه والتعب وكل سنبين بمشية الله **اقسام الخير**

الخير على ما قسمه ارسطوطاليس وحكاه عنه فرفوريوس وغيره هكذا قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي ممدوحة ومنها ما هي بالقوة كذلك ومنها ما هي نافعة فيها **فالشريفة** منها ما هي التي شرفها من ذاتها ويحصل من اقتنائها ايضا شريفا وهي الحكمة والعقل **والممدوحة** مثل الفضائل والافعال الجميلة الارادية **والتي** هي بالقوة هي مثل التهيؤ والاستعداد لنيل الاشياء التي تقدمت **والنافعة** هي جميع الاشياء التي يطلب لا لذاتها بل ليحصل بها الخيرات **وعلى جهة اخرى** الخيرات **منها** ما هي غايات **ومنها** ما ليست بغايات والغايات **منها** ما هي تامة **ومنها** ما هي غير تامة فالتي هي تامة كالسعادة وذلك انا اذا وصلنا اليها لم نحتج الى ان نستزيد اليها شيئا اخر والتي هي غير تامة فكالصحة واليسار من قبل ما اذا وصلنا اليها احتجنا الى ان نستزيد فقتنى اشياء اخر واما التي ليست بغايات البتة فبمنزلة العلاج والتعلم والرياضة **وعلى جهة اخرى** الخيرات **منها** ما هي في النفس **ومنها** ما هي في البدن **ومنها** ما هو خارج عنهما **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو مؤثر لاجل ذاته ومنها ما هو مؤثر لاجل غيره ومنها ما يؤثر للامرين جميعا **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق ومنها ما هو خير عند الضرورة وبالاتفاق التي يتفق لبعض الناس في وقت دون وقت وايضا منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع الاوقات ومنها ما ليس لجميع الناس ولا من جميع الوجوه **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر

المقولات فمنها كالقوى والملكات ومنها كالاحوال ومنها كالانفعال ومنها كالنهايات ومنها كالمبادي ومنها كالآلات
ويوجد الخير في المقولات كلها يكون على هذا المثال **اما** في الجوهر اعني في النفس بعرض فالله تعالى تقدس هو الخير الاول
فان جميع الاشياء يتحرك نحوه بالشوق اليه ولان بنا الخيرات المهية من البقاء والسرمد والتمام منه **واما** في الكمية فكالعدد
المعتدل وللمقدار المعتدل فكالدارث **واما** في الاضافة فكالصدقات والرياسات **واما** في الاين فمثل كالمكان
المعتدل والزمان الانيق للبهج **واما** في الوضع فكالقعود والاضطجاع والاتكاء الموافق **واما** في الملك فكالآلات
والمنافع **واما** في الانفعال فكالسماع الطيب وسائر المحسوسات المؤثرة **واما** في الفعل فمثل نفاذ الامر ونجح
الفعل **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها معقول ومنها محسوس **فاما السعادة** فقد قلنا انها
خير ما وهي تمام الخيرات وغايتها والتمام هو الذي اذا بلغنا اليه لم نحتج معه الى شيء اخر فلذلك نقول ان السعادة
هي افضل الخيرات ولكنا نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى الى سعادات اخر وهي التي في البدن والتي خارج
البدن وارسطوطاليس يقول انه يعسر على الانسان ان يفعل الافعال الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الاصدقاء
وجودة البخت قال ولهذا ما احتاجت الحكمة الى صناعة الملك في اظهار شرفها قال ولهذا قلنا ان كان شيء عطية
من الله تعالى وموهبته للناس فهو السعادة لانها عطية منه عز اسمه في اشرف منازل الخيرات وفي اعلى مراتبها
وهي خاصة للانسان التام ولذلك لا يشاركه فيها من ليس بتام كالصبيان ومن يجري مجراهم فهذه اقسام
الخيرات **واما اقسام السعادة** على مذهب الحكيم فهي خمسة اقسام **احدها** في صحة البدن و
لطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج اعني ان يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس **والثاني**
في الثروة والاعوان واشباهها حتى يتسع لان يضع المال في مواضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسي منه اهل الخير
خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كلما يزيد في فضائله ويستحق الثناء والحمد عليه **والثالث** ان يحسن
احدوثته في الناس وينتشر ذكره بين اهل الفضل فيكون حمده بينهم ويكثرون الثناء عليه لما يسدي من جهته
من الاحسان والمعروف **والرابع** ان يكون منجح الامور وذلك اذا استتم كل ما هو فيه وعزم عليه
حتى يصل الى ما امله منه **والخامس** ان يكون جيد الراي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه وغيره سالما
بريا من الخطاء والزلل جيد المشورة في الآراء فمن اجتمعت له هذه الاقسام كلها فهو السعيد الكامل على

على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك واما الحكماء
الذين كانوا قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وسقراط وافلاطون واشباههم فانهم اجمعوا على ان الفضائل والسعادة
كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في اول الكتاب وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدالة واجمعوا على ان هذه الفضائل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها الى غيرها من فضائل
البدن ولا ما هو خارج البدن وان الانسان اذا حصل تلك الفضائل لم تضره في سعادته ان يكون سقيما ناقص
الاعضاء مبتلى بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق النفس منها مضرة في افعالها مثل فساد العقل ورداءة الذهن وما
اشبههما فاما الفقر والخمول وسقوط الجاه وسائر الاشياء الخارجة عنا فليست عندهم بقادحة في السعادة البتة فاما
الرواقيون وجماعة من الطبيعيين فانهم جعلوا البدن جزءا من الانسان ولم يجعلوه آلة كما شرحناه فيما تقدم فلذلك اضطروا
الى ان يجعلوا السعادة التي في النفس غير كاملة اذا لم يقترن بها سعادة البدن وما هو خارج البدن ايضا اعني الاشياء
التي تكون بالبخت والجد والمحققون من الحكماء يحقرون امر البخت وكلما يكون به ومعه ولا يؤهلون تلك الاشياء
لاسم السعادة لان السعادة شيء ثابت غير زائل ولا متغير وهي اشرف الامور واكرمها وارفعها فلا يجعلونها لاخس الاشياء
وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا يحصل بروية ولا فكر ولا ينال له بعقل وفضيلة فيها نصيبا ولهذا النظر اختلف القدماء
في السعادة العظمى فظن قوم انها لا تحصل للانسان الا بعد مفارقة البدن والطبيعيات كلها وهؤلاء هم القوم الذين حكينا
عنهم ان السعادة العظمى هي في النفس وحدها وسموا الانسان ذلك جوهرا وحده دون البدن ولذلك حكموا انها ما دامت متصلة
بالطبيعة وكدورها ونجاسات البدن وضروراته وحاجات الانسان به وافتقاراته الى الاشياء الكثيرة فليست سعيدة
على الاطلاق وايضا لما راوها لا تكمل لوجوه الاشياء العقلية لانها تنتشر عنها بظلمة الهيولى اعني قصورها ونقصانها
ظنوا انها اذا فارقت الجهالات وصفت وخلصت قبلت الاضاءة والنور الالهي اعني العقل التام ويجب على
راي هؤلاء ان يكون الانسان لا يسعد السعادة التامة الا في الآخرة بعد موته واما ما دام هو انسان
فليست له سعادة تامة واما الفرقة الاخرى فانها قالت انه من القبيح الشنيع ان نظن ان الانسان ما دام
يعمل الاعمال الصالحة ويعتقد الآراء الصحيحة ويسعى في تحصيل الفضائل كلها لنفسه اولا ثم لابناء جنسه ويخلف رب العزة
تعالى ذكره في خلقه بهذه الافعال المرضية فهو شقي ناقص حتى اذا مات وعدم هذه الاشياء صار سعيدا تاما

تام السعادة وارسطاطاليس يحقق بهذا الراى وذلك انه تكلم فى السعادة الانسانية والانسان هو المركب عنده من
بدن ونفس ولذلك يحد الانسان بالناطق المائت وبالناطق الماشى برجلين وما اشبه ذلك وهذه الفرقة التى
رئيسها ارسطوطاليس ترى ان السعادة الانسانية تحصل فى الدنيا اذا سعى لها وتعب بها حتى يصير الى اقصاها والمتاخرين الحكماء
ذلك ان الناس مختلفون فى هذه السعادة الانسانية وانها قد اشكلت عليهم لا سيما الاشد احتياجا الى التعب لانا اغنى
عنها والى اطالة الكلام فيها وذلك ان الفقير يرى ان السعادة العظمى فى الثروة واليسار والمريض يرى انها فى الصحة والسلامة
والذليل انها فى الجاه والسلطان والخليع يرى انها فى التمكن من الشهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى انها فى
الظفر بالمعشوق والفاضل يرى انها فى افاضة المعروف والفيلسوف يرى ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب تقسيط العقل هى
عند الحاجة وفى الوقت الذى يجب وكما يجب فهى كلها سعادات وما كان منها يراد لشئ آخر فذلك الشئ احق باسم السعادة ولما
كان كل واحد من هاتين الفرقتين نظرت نظرا ما وجب ان نقول فى ذلك ما نراه صوابا وجامعا للراى **فنقول** ان الانسان
ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة التى تسمى ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الانعام لانه مركب منهما فهو بالجزء
الجسمانى الذى يناسب به الانعام مقيم فى هذا العالم الجسمانى السفلى مع تعميره له ويتنظمه ويرتبه حتى اذا ظفر بهذه المرتبة
على الكمال انتقل الى العالم العلوى واقام فيه دائما سرمدا فى صحبة الملائكة والارواح الطيبة **وينبغى** ان يفهم من قولنا العالم
السفلى والعالم العلوى ما ذكرناه فيما تقدم فانا قد قلنا هناك انا لسنا نعنى بالعلوى المكان الاعلى فى الحس ولا بالعالم السفلى
المكان الاسفل فى الحس بل كل محسوس فهو اسفل وان كان محسوسا فى المكان الاعلى وكل معقول فهو اعلى وان كان معقولا
فى المكان الاسفل **وينبغى** ان يعلم انه ليس يحتاج فى صحبة الارواح الطيبة اعنى المستغنية عن الابدان الى شئ من
السعادات البدنية التى ذكرناها سوى سعادة النفس فقط اعنى المعقولات الابدية التى هى بالحقيقة الحكمة فقط فاما ما دام
الانسان انسانا فليس يتم له السعادة الا بتحصيل الحالين جميعا وليس يصل الى التمام الا بالاشياء النافعة فى الوصول
الى الحكمة الابدية فالسعيد اذن يكون من الناس فى احدى مرتبتين اما فى رتبة الاشياء الجسمانية متعلقا باحوالها السفلى
سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحثا عنها مشتاقا اليها متحركا نحوها مغتبطا بها واما ان يكون فى الاشياء
الروحانية متعلقا باحوالها العليا سعيدا وهو مع ذلك يطالع الامور الدنيئة ومعتبرا بها ناظرا فى علامات القدرة
الالهية ودلائل الحكمة البالغة مقتديا بها ناظما لها مفيضا الخيرات عليها سائقا لها نحو الافضل فالافضل بحسب قبولها

قبولها لعل نحو استطاعتها وای امر لم یحصل فی احدی هاتین المنزلتین فهو فی رتبة الانعام بل هو اضل لانها ما اضل لان
تلك غير معرضة لهذه الخيرات ولا اعطيت استطاعة يترقى بها نحو هذه المراتب العالية وانما يترقى بقواها نحو كمالاتها
الخاصة بها والانسان معرض لها مندوب اليها مزاح العلة فيها وهو من يكون غير محصل لها ولا ساع نحوها وهو مع ذلك يشتغل
لضدها يستعمل قواه الشريفة فى الامور الدنية فتلك محصلة لكمالاتها التى خصت بها فاذن الانعام اذا منعت الخيرات
الانسية وحرمت جوار الارواح الطيبة ودخول الجنة التى وعد بها المتقون فهو معذورة والانسان غير معذور
بل مثل الاول مثل الاعمى اذا حار عن الطريق فتردى فى بئر فهو مرحوم غير ملوم ومثل الثانى مثل البصير الذى يمشى على بصيرة
حتى يتردى فى البئر فهو ملوم غير مرحوم **واذ قد** تبين ان السعيد لا محالة فى احدى المرتبتين اللتين ذكرناهما فقد تبين ايضا
ان احدهما ناقص مقصر عن الاخرى وان الانقص منهما لا يخلو ولا يتبرى من الالام والحسرات لاجل انخداع الطبيعة والزخارف
التى يتعرض فيما يلابسه فيعوقه عما يلاحظه ويمنعه من الترقى فيها على ما ينبغى ويشغله بما يتعلق به من الامور الجسمانية فصاحب
هذه الرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام وان صاحب الرتبة الاخرى هو السعيد التام وهو الذى يوفر حظه من الحكمة فهو
مقيم بروحانية بين الملاء الاعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستلين بالنور الالهى ويستزيد من فضائله بحسب عنايته
بها وقلة عوائقه عنها فلذلك يكون ابدا خاليا من الالام والحسرات التى لا يخلو صاحب الرتبة الاولى منها ويكون مسرورا
ابدا بذاته مغتبطا بحاله وبما يحصل له دائما من فيض نور الاول فليس يميل الا بتلك اللذات ولا يغتبط الا بتلك المحاسن
ولا يهش الا لاظهار تلك الحكمة بين اهلها ولا يرتاح الا لمن ناسبه او قاربه واحب الاقتباس منه وهذه هى الرتبة
التى من وصل اليها فقد وصل الى اخر السعادات واقصاها وهو الذى لا يبالى بفراق الاحباب من اهل الدنيا ولا يتحسر على ما يفوته
من التنعم وهو الذى يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التى عددناها فى السعادات التى فى بدنه الخارجة عنها
كلها كلا عليه الا فى ضرورات يحتاج اليها البدنه الذى هو مربوطبه لا يستطيع الانحلال عنه الا عند مشية
خالقه وهو الذى يشتاق الى صحبة اشكاله وملاقاة من يناسبه من الارواح الطيبة والملائكة المقربين وهو الذى
لا يفعل الا ما اراده الله منه ولا يختار الا ما قرب اليه ويخالفه الى شئ من هواه وشهواته الردية ولا ينخدع
بخدائع الطبيعة ولا يلتفت الى شئ يعوقه عن سعادته وهو الذى لا يحزن على فقد محبوب ولا يتحسر على فوت
مطلوب لان هذه الرتبة الاخيرة يتفاوت الناس فيها تفاوتا عظيما اعنى لمن وصل اليها من الناس

يكونون على طبقات كثيرة غير متقاربة وهاتان المرتبتان هما اللتان ساق الحكيم كلامه اليهما واختار المرتبة الاخيرة منهما وذلك فى كتابه المسمى بفضائل النفس وانا اورد الفاظه التى نقلت الى العربية بعينها **قال اول** رتب الفضائل التى تسمى سعادة ان يصرف الانسان اراداته ومحاولاته الى مصالحه فى العالم المحسوس والامور المحسوسة من امور النفس والبدن وما كان من الاحوال متصلا بذلك ومشاكلا له من الامور النفسانية ويكون تصرفه فى الامور المحسوسة تصرفا لا يخرج به عن الاعتدال الملائم لاحواله الحسية وهذه حال قد تتلبس فيها الانسان بالاهواء والشهوات الا ان ذلك بقدر معتدل غير مفرط وهو على ما ينبغى او قريب منه الى ما لا ينبغى وذلك انه يجرى امره نحو صواب التدبير المتوسط فى الفضيلة وما لا يخرج به عن تقدير الفكر وان لابس الامور المحسوسة وتصرف فيها **ثم الرتبة الثانية** وهى التى يصرف فيها الانسان فيها اراداته ومحاولاته الى الامر الافضل من صلاح امر النفس والبدن من غير ان يتلبس مع ذلك بشئ من الاهواء والشهوات ولا يكترث بشئ من القنيات المحسوسة الا بما تدعو اليه الضرورة ثم تتزايد رتبة الانسان فى هذا الضرب من الفضيلة وذلك ان الاماكن والرتب فى هذا الضرب من الفضائل كثيرة بعضها فوق بعض وسبب ذلك **اما اولا** فاختلاف طبايع الناس **وثانيا** على حسب العادات **وثالثا** بحسب منازل الناس ومواضعهم من العلم والمعرفة والفهم **ورابعا** بحسب هممهم **وخامسا** بحسب شوقهم ومعاناتهم وقد يقال ايضا بحسب جدهم ثم يكون النقلة من آخر هذه المرتبة عن هذا الصنف من الفضيلة الى الفضيلة الالهية المحضة وهى التى لا يكون فيها تشوق الى آت ولا تلفت الى نحو جاء ولا تشيع بماض ولا تطلع الى ناء ولا ضن بقريب ولا خوف ولا فزع من حال ولا شغف بها ولا طلب لحظ من الحظوظ الانسانية ولا من الحظوظ النفسانية ايضا الا ما تدعو الضرورة اليه من حاجات البدن والقوى الطبيعية ولا القوى النفسانية ايضا لكن يصرف الجزء العقلى فى اعالى رتب الفضائل وهو مصروف الوله الى الامور الالهية ومعاناتها ومحاولتها بلا طلب عوض اعنى ان يكون تصرفه فيها ومعاناته ومحاولته لها لنفس ذاتها فقط وهذه الرتبة ايضا تتزايد فى الناس بحسب الهمم والشوق وفضل المعاناة والمحاولة وقوة الحيز وصحة الثقة وبحسب منزلة من بلغ الى هذا المبلغ من الفضيلة فى هذه الاحوال التى عددناها الا ان يكون يتشبه بالعلة الاولى ويقتدى بها وتابعا لها وآخر المراتب فى الفضيلة ان يكون افعال الانسان كلها افعالا الهية وهذه الافعال هى خير محض والفعل اذا كان خيرا محضا فليس يفعله فاعله من اجل شئ آخر غير الفعل بنفسه وذلك ان الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها اى هو الامر المطلوب نفسه والمقصود لذاته والامر هو غاية

غاية ولا يبلغ غاية في نهاية الفعل من غير ان يكون بينه وبين غايته حجاب الا ان الانسان اذا اصاب كمال العقل الذي كان له الى ان يصل عن
لبانه ولكن انما هو عقل الانسان الذي هو ذاته الحقيقية من اوله ونهايته و يوجب بسائر اجزائه واعضائه
بسائر عوارض النفس بين الجسمين وعوارض التخيل التي لها عنها وعن جسده في نفسه الحسية فلا يبقى له حينئذ ارادة الا
خارجة عن فعله من جملة الجسم الطبيعي متم من فعله بلا ارادة ولا همة في سلوكه اي لا يكون غرضه في فعله غير
ذاته الفعل فهما بعيدان الفعل الالهي فهذه الحالة التي يجب ان تتصل التي تتحول بها الاشياء بعضها الى الكمال
الاول فانها الاول الكل عز وجل وعما يحيط بقوته فيما يفعله لا يطلب به منزلة الاعانة ولا عوضا ولا لذة ولكن حكمه
فعله بعينه هو غرضه لا غاية من جلاله غير ذاته الفعل غير ذاته وكان ان يكون فعل ما يفعل كالصالح الى تمام
فعل ذلك لا يتمه من تلقاء نفسه هو العقل الالهي بنفسه كما فعل الباري سبحانه ان ذاته الاول الى تمام
خارج عنه وهو الغاية فعل الانسان في هذه الحال الممكن كما فعل الخير لا عن حاجة ولا علة عمومه في الفعل
لغير اظهار الفعل فقط لا لغاية اخرى فينتج منها الفعل وهكذا فعل الله عز وجل الخاص ليس له غرض الا نفسه
الاول من اجل ذلك خارج عن ذاته على ان ليس للذات الاجل شيء يستكمل به الشيء الذي عن جميعها الانسان كان خالصا
الكاملة الا انما الوحيد انما كانت حركته لا يستقر به الاهى التي هي من خارج الذات ولا غير الحال الا بما اختاره
... على هذا يكون الاشياء التي هي خارج استكمالها على الوحدة ...
عز وجل بالاشياء التي هي من خارج ذاته الذي يليه ... على القصد ... بفعله من اجل الا
لنفسه لكن من اجل خاله بذلك لاجل ان ذاته ... من اجل الفضل عليه ولا من اجل شيء ... له
الا انه ... غاية التقسيم ... في الامكان ... عز وجل ... على القصد الاول
من اجل ... العقل الالهي ... الفعل ... بنفسه ...
على التقسيم الاول ... ولكن ... من اجل ...
الاول ... الفعل ... القضية ... الفعل له
الا ... ولا ... الاحكام الالهية ... الغلبة ...
... الاحسان لا يحصل الى معرفة الحال التي ... الاحكام الخاصية ... النفسانية

فيموت ما طبعه التي يكون بعد القول حين قد بطل نظار الاشيا ونعمة الهية وانما تقبل من ذلك الكيد المعتدلة بميل الى الطبيعة الانسانية وبقى
منه نقا كاملا لوجهتين يستلك حرمة الهية ويشوق الشيا يوفق بالامور الالهية بما يهدى كل نفسه حق تقتضى نشاتها نحو الى العقل
كما قد بينت فيه القضايا الاول التي هي العلوم الاوائل العقلية لان شهوة العقل رتبته في هذه الحال الامور الالهية ن
بتقية لما لمعنى اشرف والطف واظهر اشد الحكمة وبينا من القضايا الاول التي هي العلوم الاوائل العقلية مقدمة
هذا الكتاب قد نقله نقلا وهي نقل ابي عثمان الدمشقي وهذا الرجل صحيح بالغتين جميعا اعني اليونانية والعربية مرضي النقل
عند جميع من طالع هاتين اللغتين وهو مع ذلك شديد التحري لايراد الالفاظ اليونانية ومعانيها من الفاظ العرب
ومعانيها حتى لا يختلف في الفاظه ولا معنى ومن يرجع الى هذا الكتاب يعرف بحسن نقله ان النقل قد اعرف هذه الالفاظ
كلها كما نقلها وليس يجهل هذه المراتب التي يترقى فيها صاحب السعادة التامة الا من لم يعرف الحكمة ولا علم بها
ويستوفيها اولا اولا كما رتبنا الى كتابنا السعي بتقيل السعادة ومن يخرج من الناس لم يصل اليها بقية التاسع الطبيعية
على غير تلك المناهج فقد ظن باطلا وبعد عن الحق بعدا كثيرا **ولنذكر** في هذا الموضع الخطأ العظيم الذي وقع
فيه قوم ظنوا انهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة العاقلة واهمالها وترك النظر الخاص بالعقل واكتفائهم باعمال البيت
مدنية ولا جهتها تقتضيه التمييز والعقل ولذلك رتبنا هذا الكتاب بعقب ذلك الكتاب ليحصل منهما السعادة الاخيرة المتممة
بالحكمة البالغة ويهذب لها النفس حتى تقبلها كما هو شكل ومنقية من الامور الطبيعية وشهوات الابدان ولذلك
سميته نحو كتاب الطهارة وقد قال ارسطوطاليس في كتابه المسمى الاخلاق ان هذا الكتاب لا ينتفع به الاحداث كثير نفعه ولا
من هو في طبيعة الاحداث قال وليس اعني بالحدث من كان حدث السن لا ان الزمان لا تاثير له في هذا المعنى وانما اعني الذي
يقصد ما اصل الشهوات واللذات الحسية فاما انا **فاقول** انه اذا كنت في هذه الرتبة الاخيرة من السعادة طمعا ان يصل
الاحداث اليها بل ان يحصل معهم شيئا وشيئا ان يصل مرتبة ملكية لا يصل اليها الا اهلها الاعلى مرتبة فليس كل
من نظر في هذا الكتاب الحجة الاولى منها بالاخلاق التي وصفها ان يرتقي ببعد ذلك ولهذا الشوق الشديد والحرص
التام وسائر ما ذكرناه وحكيناه عن الحكيم غيرق في مراج الحكمة ويتصاعد فيها بحملة فانه من جعل بصينة فيه
فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة ثم فارق بجسمه الكثيف دنياه الدنية وحصل بنفسه اللطيفة التي هي
بتطهيرها وغسلها الى ذنابر الطبيعة الاخرى الطبيعة العلية فقد حصل بها الغاية القصوى يحصل ما ذاك

فيه نزوع الى تلك القوى التى كانت تعوقه عن سعادته ولا يلتفت اليها الا انه قد بطلت فيه وعزيمة وعنها ولم يبق فيه ارادة لما ولا حسرة عليها وقد استضاء بالنور الالهى العالى ويتصل كراماته ويحضر نفسه الذى كان غير مستولية لانه قبل من عطائه ويليه حينئذ الشيخ الذى وعد به المتعوب ولا اراحه ما سبق لانبياء اليه ويراد فى قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وفى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **واذ قد لخصنا** امر هاتين المنزلتين من السعادة فقد تبين بيانا كافيا ان احديهما بالاضافة الينا اولى والاخرى ثابتة ومن المحال ان يسلك الى الثانية من غير ان يمر بالاولى فقد وجب ان نفعل اولا ما به نحرز السعادة الاولى من السعادة الاخيرة ونستوفى الكلام فيها وهو فى الاخلاق التى بنينا الكتاب عليها ثم نخرج عنها الى الرتبة الثانية وقت الحرز **فنقول** ان من حصل بعض القوى التى ذكرناها دون بعض ونهض لاصلاحها فى وقت دون وقت لم يستحق اسم السعادة وكذلك يكون حال الرجل فى تدبير منزله اذا عنى ببعض اجزائه دون بعض ووقت دون وقت لم يستحق ان يسمى مدبر منزل وكذلك حال مدبر المدينة اذا خص بنظره طائفة دون طائفة او وقتا دون وقت لم يستحق اسم الرياسة على الاطلاق وارسطاطاليس يتمثل بان قال ان الخطاف الواحد اذا ظهر لا يدل على طبيعة الربيع ولا يوم واحد معتدل بالهواء يبشر بالربيع فسبيل طالب السعادة ان يطلب السيرة اللذيذة عنده فيشربها دائما فان تلك السيرة هى وحدها لذيذة فى نفسها فلذلك قلنا انه ينبغى ان يسترقها دائما ويثبت عليها ابدا ولما كانت السير ثلثا لانها تنقسم باقسام الغايات الثلث التى يقصدها الناس اعنى سيرة اللذة وسيرة الحكمة وكانت سيرة الحكمة اشرفها لانها وكانت فضائل النفس كثيرة وجب ان يفضل الانسان بافضلها ويشرف باشرفها فسيرة الافاضل السعداء سيرة لذيذة بنفسها لان افعالهم مختارة وممدوحة وكل انسان يلتذ بما هو محبوب عنده فيلتذ بالعدل العادل ويلتذ بالحكمة الحكيم والافعال الفاضلة والغايات التى ينتهى اليها بالفضائل لذيذة محبوبة والسعادة الذ من كل شئ وارسطو يقول ان السعادة الالهية وان كانت كما ذكرناه من الشرف وهى الذ الاشياء فان صاحبها يحتاج الى السعادات الاخر الخارجية لان يظهر بها والا كانت كامنة غير ظاهرة واذا كانت كذلك كان صاحبها كالفاضل النائم الذى لا يظهر فعله وحينئذ لا يكون بينه وبين غيره فرق كما وصفنا من حاله فيما تقدم فالمطلع اذن على حقيقة هذه السعادة المتمكن من اظهارها بفعله بها هو الذى يلتذ بها وهو الذى يسمى سعيدا حقيقيا غير محرو ولا

من حرم ذلك بالاصل او بالعادة التي تجري مجرى الجبلة على الشقوة والخسران يعني بانه لن يصير سلطانه الغالب عليه سلطان
بطنه وفرجه ولا يحتاج الى ان يصير عبدا لشهوة بطنه وفرجه في الحقيقة ايضا محروم بالاصل الذي لا يشركه فيها الحيوانات
ليست بناطقة فان تلك اللذات الحسية تنصرم والتكلف لها انما يفعل سريا فاذا دام عليها صارت كريهة وربما
عادت مؤلمة وكان الحسن لذة مرضية على ان قلة ذلك للعقل لذة دائمة … لا يعرف اللذة الحقيقية كيف
من لا يعرف فضائل الرياضة الذاتية كيف يصبو اليها فلذلك قدمنا وضعها في سوقنا اليها عادة الكلام فيها مرة وقلنا ان من
لا يعرف الخير المطلق والفضيلة التامة ولا يعرف الحكمة العملية حتى يتأكد الفضل والعمل به والثبات عليه لا ينشط
ولا يرتاح اليه ومن كان كذلك فكيف يلتذ ويقيم بما شرحناه وذكرناه فليه وكان الحكماء المتقدمون … يصرفونهم وسوق
في الحياة … مساجدهم ومصلى … وهو في هذه اللذات المتوكل بالدنيا يقول ان ههنا جنات وههنا … وههنا ما لا كثير
ولا بشر من عرف هذه الحلية حق معرفتها تخلص منها ويحيى سالما ومن لم يعرفها قتله شر قتلة وذلك انه لا افلة ولا
… بعصبيته … ولكن قتله … ولا اولاد … من نظر فيه وامله عرف منه جميع ما قدمنا ذكره
وينبغي ان تعلم ان السعيد الذي ذكرنا حاله متى لم يحط … من الحالات الدنيوية الكبير … ومطالع
… عليه من النكبات والنوائب والوادع المحن ايضا ما يجري على غيره الا انه لا يتغير منها ولا يلحقه ما
… لانه غير مستعد لتلقي الانفعال منها بعادة الحلم … بل … والاحزان بالاحوال
الفادحة له وان اصابه … الا انه … ما لا ينقل عن السعادة الى ضدها بل … عن حد السعادة البتة فلو
… والنكبة … واصغر ما … عن حد السعادة وذلك لما يجده … في المحافظة على شروط الشجاعة الصبر على
ما يخرج منه … الطباع فيكون … لا بدائه … الاحاديث الجميلة التي … ويحكى القائل الذي
يدعى … الذي … بالصبر … عظيمة من … [illegible]
… ولكن … الصيت … بالصبر وكان …
في الفضلاء … ولا … لا … الذي لا … من …
بكونه … فاذا عرض للانسان … لم يكن فيه دلالة على كبر نفسه وعظم همته … لكون …
… على كبر نفسه … الصناعة

النفسانية الشريفة من تهذيب الاخلاق فانه حينئذ يتشبه بالانبياء [illegible] عند حلول المصائب [illegible] الذين

[illegible] الاشياء [illegible] الى الحكمة التي يرتاح بها [illegible] واما الذين [illegible] السعداء [illegible]

من لفظهم [illegible] التعبير بالسكون الا انه يفرح الباطن مثل الضمير كما ان الاعضاء المفلوجة اذا حركت الى اليمين تحركت

الى الشمال كذلك يكون [illegible] نفوس الاشرار [illegible] فالى خلاف ما يحملون عليه من الجميل على انهم اذا

تشبهوا بالاعفاء [illegible] حركت الى ضده ما حملوا عليه واذا تشبهوا بالاجواد واهل العدالة كانت

هذه [illegible] ما استدل به من كلام ارسطاطاليس على انه كان يقول ببقاء النفس بالمعاد كلامه المتداول في

كتاب الاخلاق [illegible] قال وقد حكمنا ان السعادة شيء ثابت غير متغير وقد علمنا ايضا ان الانسان

قد يلحقه تغيرات كثيرة واتفاقات مختلفة فانه قد يمكن فيمن هو ارغد الناس عيشا ان يصاب بمصائب [illegible] عليها فليس احد من

الناس سعيدا [illegible] على هذا القياس ان يسمى انسان من الناس سعيدا ما دام حيا بل ينتظر به اخر عمره [illegible]

فالانسان اذن انما يصير سعيدا اذا مات الا ان هذا قول في غاية الشناعة اذ كنا نقول ان السعادة هي فعل

ما ثم قال وفي هذا الموضع ايضا موضع شك فانه يظن بالميت انه يلحقه خير وشر كان يلحق الحي ايضا [illegible]

مثل الكرامة والهوان واستقامة امر الاولاد [illegible] فانه قد يمكن فيمن عاش

كله الى ان يبلغ الشيخوخة سعيدا ومات على هذا [illegible] ان يلحقه مثل هذه التغيرات في اولاده حتى يكون بعضهم

خيارا حسني السيرة وبعضهم بضد ذلك ومن البين انه قد يمكن ان يوجد بين الاباء والاولاد تباين واختلاف

بكل جهة ولكن من المنكر ان يكون الميت يتغير بتغيرهم فيصير مرة سعيدا ومرة اخرى شقيا ومن المنكر ان لا يكون شيء من

امور الاولاد متصلا بالوالدين في وقت من الاوقات ولكن ينبغي ان نعود الى ما كان الشك [illegible]

الذي اوردناه على نفسه في هذا الموضع [illegible] من يعتقد ان للانسان بعد موته احوالا وانه سيتصل به [illegible]

من امور [illegible] سيرة الاولاد [illegible] الانسان

[illegible] سعيدا [illegible] ما كان [illegible]

[illegible]

[illegible] الانسان [illegible] ان يكون [illegible]

يعرض له افضل الافعال من الصبر وهو من اضطرار لا افضل اعمال الافضل من من التصرف في الاحوال اذا الشيء فيها احسن
التحمل لذا اما مثلها لم يكن سعيدا في جميع احواله غير مستقل عن السعادة بوجه من الوجوه فان السعيد اذا اعرض عليه مصائب عظيم جليل
يسيرة اكثر سعادة لانه يزداد به مدارات جميلة ويصبر على الشدائد الشر لكن صبرا حسنا ومتى لم يفعل ذلك كانت سعادة
ونقضها عليه وجلبت له احزانا وغموما يعوقه عن افعال كثيرة والجميل اذا ظهر من السعيد في هذه الاحوال كان اشد
اشرافا وحسنا وذلك اذا احتمل الصبر عظم من المصائب صبرا لا بسهولة لكن لا يكون ذلك لعدم حسه ولا انقصاص
فهمه بالامور بل لشهامته وكبر نفسه قال واذا كانت الافعال هي ملاك السيرة كما قلنا فليس يكون احد من السعداء
شقيا لانه ليس يفعل في وقت من الاوقات افعالا مرذولة فاذا كان هذا هكذا فالسعيد لا يكون ابدا مغبوطا وان
حلت به المصائب التي حلت بين ناس فلا يكون شقيا ولا سريع التنقل وذلك انه ليس انما لا ينتقل عن السعادة
بسهولة ولا ينقله عنها الآفات اليسيرة لكنه لا ينقله الآفات العظيمة الكثيرة وليس انما يكون سعيدا اذا اتته هذه
الامور زمانا يسيرا بل اذا ظفر بامور جميلة في زمان طويل ثم قال بعد ذلك فاما حال الانسان بعد موته
فان القول بان الآفات التي يعرض لاولاد الميت واصدقائه باجمعهم ليس يتعلق به اصلا امر قول غير مقبول اصلا
وهو مضاد لما يعتقده جميع الناس واذا كانت الامور العارضة للاولاد كثيرة مختلفة وكان بعضها يتعداهم الى الميت
اكثر وبعضها اقل صارت قسمتنا اياها الى الاشياء الجزئية بلا نهاية فاما اذا قلنا قولا كليا وعلى طريق الرسم فخليق
ان يكتفى بما يقوله فيها وهو انه كما ان الآفات التي تعرض للميت في حياته بعضها يثقل عليه احتماله ويثقل في سيرته
وبعضها يخف عليه احتماله كذلك يكون حاله فيما يعرض لاولاده واصدقائه وكل واحد من العلل العرض التي تعرض
للاحياء من العلل التي تعرض للموتى امر اكثر من مخالفة كل ما يضرب به المثل ويشبه ان يكون اذا كان يصل
اليهم من هذه الاشياء شيء خيرا كان او شرا ان يكون يسيرا قليل المقدار ولا يجعل غير السعيد سعيدا ولا ينتزع
السعادة من السعداء فهذا اجمل ما سطره الفيلسوف في الذي اوردناه **ولما علمنا** ان السعادة الذ الاشياء و
افضلها واجودها وليس ما جب التي تبين وجه اللذة فيها باتم ما قلنا فيما مضى لما فيها التي فيها **فنقول** ان اللذة ينقسم
قسمين احدهما اللذة الانفعالية والاخرى اللذة الفعلية اي الفاعلية واما اللذة الانفعالية فهي شبيهة بالآلام واللذة الفعلية
ليست للانسان فقط وتلك اللذات للانسان الانفعالية هي التي يشارك فيها الحيوانات التي ليست بناطقة وتلك متقدمة

مقترنة بالشهوات ومحبة الانتقام وهي فضلا لان النفسين البهيميتين واما اللذة الاخرى فهي الفاعلة وهي التي تختص
بالحيوان الناطق ولا يمازجها شيء من الهيولانية ولا المنفعلة فاتفقا الا ان احداهما لذة تامة وتلك ناقصة وهذه ذاتية وتلك
عرضية واعني بالذاتية والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوات يزول سريعا وينقضي وشيكا بان يتغلب ذاتها
تصير غير لذات بل يصير الاما او مكروهة بشعة مستقبحة وهذه اضداد اللذة ومقابلاتها واما اللذة الذاتية
فانها لا تصير في وقت اخر غير لذيذة ولا تنتقل عن حالها بل هي ثابتة ابدا واذا كانت كذلك فقد صح حكمنا ونحن ان
السعيد يكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية والهية لا بهيمية ولذلك قال الحكماء
المحصلون
ان اللذة اذا كانت صحيحة ساقت البدن من النقص الى التمام ومن السقم الى الصحة ولذلك ايضا تشوق النفس
الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة الا ان ههنا سرا ينبغي ان يقف عليه المتعلم وهو ان ميل الطبع الى اللذة الحسية
ميل قوي جدا وشوقنا اليها شوق مزعج شديد وليس يزيد العادة في قوة طبع لنا كثير زيادة لفرط ما جبلنا عليه في
المبدا من القوة والشوق فلذلك متى كانت اللذة حسية قبيحة ثم مال الطبع اليها بافراط والفعل فيها القوة والا
الانسان فيها كل قبيح وهون على نفسه منها كل صعب ولم ير موضع الغلط ولا مكان القبيح حتى يبطل الحكمة فاما اللذة العقلية
الجميلة فامرها بالضد وذلك ان الطبع يكرهها فان انصرف الانسان اليها لمعرفته وتمييزه احتاج فيها الى الصبر والمكابدة
حتى اذا استمر فيها وتدرب بها انكشف له حسنها وبهاؤها وصار بالضد مما كان في الحسن منهما تبين ان الانسان
في ابتداء كونه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الالهية والدين القيم حتى يهذبه ويقومه ثم الى الحكمة البالغة
ليتولى تدبيره الى اخر عمره وقد تبين مع ذلك تعلق السعادة بالجود وذلك اذ قد بينا انها لذة فاعلة ولذة الفاعل ابدا
يكون في الاعطاء ولذة المنفعل ابدا يكون في الاخذ وليس يظهر ابدا لذة السعيد الا بابراز فضائله واظهار حكمته
ونشرها في مواضعها وكان الكاتب المجيد انما يلتذ باظهار كتابته وكذلك البناء الحاذق اللطيف الذي يسقف ما
فبالجملة كل صانع حاذق فاضل في صناعته يسر باظهارها وبفضائله ولذاعتها بين اهلها ومستحقيها وهذا هو معنى الجود
وحقيقته الا ان الجود على الاشياء باكرمها وافضلها واشرف من الجود بادونها واخسها وقد عرض لهذا الجود مع شرفه
وعلو مرتبته ضد ما عرض لذلك الجود الاخر مع نذارته وقلته وذلك ان اصحاب الاموال والقنيات انما يتصل ما له
بالانفاق ويتثلم بالبذل ويفني ذخائره بالتبذير واما صاحب السعادة التامة فان امواله لا ينتقص بالانفاق

لا يفني ذخائره بالتبذير بل يحمي تلك مؤونة الآفات الكثيرة من الاعداء واللصوص وسائر المتسلطين فهذه فريسة
من كل فم ولا سبيل للاشرار اليها بوجه ولا سبب يفقدها ظهرت لذة السعيد كيف تكون ومن اين يبتدئ ومن اين ينتهي كيف تكون
السرور الحقيقي واللذة الذاتية **وتبين** ايضا انها ابدية وتامة الهية وان ضدها الذي هو الشقاء الدائم بالضد وعلى
العكس اعني ان لذاته كلها عرضية ومستقلة عن طباعها الى اضدادها حتى تصير مؤلمة او مكروهة وانها غير الهية بل شيطانية
وغير ممدوحة بل مذمومة وبقي ان ينظر في السعادة هل هي ممدوحة قال ارسطوطاليس ان الاشياء التي هي في غاية الفضل
لا يوجد لها مديح لانها افضل واجل من ان يمدح قال وذلك انا ننسب المتألهين والجياد من الناس الى السعادة ولا
يوجد احد من الناس يمدح السعادة نفسها كما يمدح العدل لكنها يجلها ويكرمها على انه امر الهي فالاشياء التي هي
افضل من المدح الله والخير وذلك ان سائر الاشياء الفاضلة انما يمدح بان ينسب الى الله والى الخير فان المديح انما
هو للفضيلة والعمل بها انتهى كلامه هذا الى ان قال فالله تعالى اكرم واشرف من ان يمدح بل انما يمجد ويحمد
وتقدس تمجيدا كثيرا فاما السعادة فلانها امر الهية فانما يفعل الاشياء كلها لاجلها فلذلك مجدة فعلى هذا الاصل
ينبغي ان لا يمدح السعادة لانها اجل من كل مديح بل يمجد ما في نفسها ان يمدح الامور كلها بها وبقدر قسطها منها

تمت المقالة الثالثة من كتاب تهذيب الاخلاق وطهارة النفس

قد قلنا فيما سلف ان السعادة يظهر في الافعال من العدالة والشجاعة والعفة وسائر ما تحت هذه الانواع التي احصيناها
وحددناها وهذه الافعال قد يظهر ممن ليس بسعيد ولا فاضل وذلك انه قد يعمله بعض الناس عمل العدل وليس بعادل
ويعمل عمل الشجعان وليس بشجاع ويعمل عمل الاعفاء وليس بعفيف ومثال ذلك ان من ترك الشهوات من الماكل و
المشارب وسائر اللذات التي ينهمك فيها غيره اما لانه ينتظر منها اكثر مما يحضره واما لانه لم يعرفها ولم يباشرها كالقرويين
الذين يبعدون عن المدن وكالرعاة في البوادي وقلل الجبال واما لانه استشرف منها رديا ولها مكروها فجعله يجتنبها
واما لانه ممنوع منها فان هؤلاء كلهم يعملون عمل الاعفاء وليسوا باعفاء فان العفيف على الحقيقة من وفى العفة
حدها المذكور فيما تقدم واختارها لنفسها لا لغرض آخر غيرها وآثرها لانها فضيلة ثم نال كل واحد من
شهواته بمقدار الحاجة ومن الوجه الذي ينبغي وعلى الحال التي ينبغي وكذلك حال الذي يعمل عمل الشجعان و
ليس بشجاع وذلك ان من باشر الحروب واقدم على ركوب الاهوال بحسب ما يحصل اليه من المال او من الغلبة او الرغبة

الرغبات التي لا تحصى كثرة فان مثل هذا لا يعمل عمل الشجعان ولكن يعمله بطبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة التي تدعى
شجاعة وكل من كان اكثر شرها ونهما كان اكثر شجاعة وذلك انه يخاطر بنفسه الشريفة ويصبر على المكاره العظيمة طمعا
في المال وما يوصل اليه بالمال وقد راينا اهل الشطارة يعملون عمل الاعفاء وعمل الشجعان وهم ابعد الناس من كل فضيلة
وذلك انهم يصبرون عن الشهوات كلها ويصبرون على عقوبات السلطان وضرب السياط وتقطيع الاعضاء بالجرائم
التي لا يبرحون منها ويتهتكون فيه الى اقصى الصبر حتى الصلب وسمل العيون وقطع الايدي والارجل وضرب المثل طلبا ما لان
يذكر بين قوم في مثل حالهم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل وقد يعمل ايضا عمل الشجعان من يخاف الائمة عشيرته
او عقوبة سلطانه او خوف سقوط جاهه او ما اشبه ذلك وقد يعمل عمل الشجعان ايضا من اتفق له مرارا كثيرة ان يغلب
اقرانه فهو يقدم ثقة منه بالعادة الجارية وجهلا بمواقع الاتفاقات وقد يعمل عمل الشجعان العشاق وذلك انهم يركبون
الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الهوى ولحرصهم على متعة العين منهم لا لطلب الفضيلة ولا لاختيار الموت الجميل على
الحياة الردية كما يفعل الشجاع بالحقيقة فاما شجاعة الاسد والفيل واشباههما من الحيوان فانه يشبه الشجاعة وليست
شجاعة حقيقة وذلك انها وثقت بقوتها وانها تفوق غيرها فهي تقدم لا بطبيعة الشجاعة بل بتمام القدرة
والقوة وثقة النفس بالغلبة وما كان منها سبعا فهو مع هذه الحال بالغلبة في السلاح الذي عدمه غيره وسكينا
السلاح مثلا اذا اقدم على الاعزل وليست هذه شجاعة هذا مع عدم الاختيار الذي يستعمله الشجاع وذلك ان
الشجاع خوفه من الامر القبيح اشد من خوفه من الموت فلذلك يختار الموت الجميل على الحياة القبيحة على ان لذة الشجاع
ليست تكون في مبادي اموره فان مبادى الامور تكون مؤذية له ولكنها تكون في عواقب الامور وايضا باقية
مدة عمره وبعد عمره لا سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاده الصحيح ووحدانية الله عز وجل والشريعة التي هي سياسة الله
وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والاخرة فان مثل هذا اذا فكر في قصر مدته وعلم انه لا محالة
سيموت بعد ايام قلائل ثم كان محبا للجميل ثابتا على الراي الصحيح فهو لا محالة يحامي عن دينه ويمنع العدو
عن استباحة حريمه والتغلب على مدينته ويانف عن الفرار ويعلم ان الجبان اذا اختار الفرار فانما يستبقي
شيئا لا محالة فانيا زائلا وان تاخر اياما معدودة ثم هو في هذه الحياة اليسيرة ممقوت مسبوب هذه الحياة
بالذل وضروب الصغار وهذه حالة الشجاع مع قوى نفسه اعني مقاومته لشهواته واستذلاله لها فان حاله

تلك الحال بعينها واسمع كلام الامام الاجل سلام الله عليه الذي صدق عن حقيقة الشجاعة فانه قال عليه السلام في خطبة له
ايها الناس انكم لا تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب عليه السلام بيده لالف ضربة بالسيف على الراس اهون من ميتة
على الفراش ومن عرف حد الشجاعة تبين له ان جميع ما احصيناه الان ليس معدودة فيها وان كان يشبهها بالصورة
وذلك انه ليس كل من تقدم على الاهوال فهو شجاع ولا كل من خاف من الفضائح فهو شجاع وذلك ان من لا يفزع من ذهاب
شرفه او فضيحة حرمه او عند حدوث الرجفات والزلازل والصواعق ومن الزمانة في الامراض او عدم الاخوان
والاصدقاء او عند اضطراب البحر وهيج الامواج وهو جبان فهو بان يوصف بالجنون مرة وبالقحة مرة اولى من ان
يوصف بالشجاعة وكذلك من خاطر بنفسه في وقت الامن والطمانينة بان يثب من سطح عال ويصعد
من مرتقى صعب ويحمل نفسه على حوض ماء غزير وهو لا يحسن السباحة او يساور خيلا هائجا او ثورا صعبا او سبعا
لم يرض من غير ضرورة تدعوه الى ذلك بل مراياة بالشجاعة واظهار المرتبة الشجاعة فان مثل هذا بان يسمى مطرمذا
نفقا اولى منه بان يسمى شجاعا فاما من خنق نفسه خوفا من الفقر والذل واهلكها بالسم او ما اشبهه هربا من ضيم يصير
اليه فهو بان يوصف بالجبن اولى منه بان يوصف بالشجاعة وذلك ان الاقدام وقع منه بطبيعة الجبن
لا بطبيعة الشجاعة فان الشجاع يصبر على ما يرد عليه من الشدائد صبرا جميلا ويعمل اعمالا يليق بتلك الحال كما شرحنا
فيما تقدم ولذلك يجب ان تعظم الشجاع وتشح على نفسه وتشفق على السلطان خاصة والقيم بامر الدين والملك
ان ينافس فيه ويحمل قدره ويعلي خطره ويميزه من كل من يتشبه به ممن ذكرناه **فقد تبين من جميع**
ما قلناه ان الشجاع هو الذي يستهين بالشدائد في الامور الجليلة ويصبر على الامور الهائلة ويستخف
بما يستعظمه عوام الناس حتى بالموت لاختيار الامر الافضل ولا يحزن على ما لا يدرك فيه ولا يضطرب
عند ما يفدحه من المصائب ويكون غضبه اذا غضب بمقدار ما يجب وعلى من يجب وفي الوقت الذي يجب ولذلك
يكون انتقامه على هذه الشرائط فان الحكماء قالت ان من لا ينتقم بالحقيقة ذليل فاذا انتقم عاد الى حالته من [illegible]
وهذا الانتقام اذا كان بحسب الشجاعة كان محمودا واذا لم يكن كذلك كان مذموما **وقد نقل** الينا من الاخبار
المأثورة عمن اقدم على سلطان قوي كان او ان ينتقم منه فاهلك نفسه من غير ان يضر سلطانه روايات كثيرة
وكذلك حال من اقدم على قرن او خصم الذي لا يستطيع مقاومته فان الانتقام منه يعود بالاهلية وزيادة في الذل والعجز

المهرة فاذن ليس يتم شرائط الشجاعة والعفة الا للحكيم الذى يستعمل كل شى فى موضعه الخاص ويقدره بقسط العقل له
فكل شجاع عفيف فهو حليم فكل حليم شجاع فهو عفيف وهذه الحال بعينها يظهر فيمن عمل عمل الاسخياء وليس بسخى
وذلك ان من بذل ماله فى شهواته او طلبا للسمعة والرياء وتقربا الى السلطان او لدفع مضرة عن نفسه وحرمه
واولاده او بذلها لمن لا يستحق من اهل الشر والملهين والمساخرة او بذلها للطمع فى اكثر منها على سبيل التجارة والمرابحة
فكل هولاء يعمل عمل الاسخياء وليس بسخى اما بعضهم فيبذل ماله بطبيعة الشره واما بعضهم فبطبيعة الطرمذة
والرياء واما بعضهم فعلى طريق الازدياد من المال والربح فيه واما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة المعرفة بقدر
المال وهذا اكثر ما يعرض للوارث ولمن لا يتعب باكتساب المال ولا يعرف صعوبة الامر فيه وذلك ان المال
صعب الاكتساب سهل الانفاق وقد شبه الحكماء من يرقى حملا ثقيلا الى قلة جبل ثم يرسله فان الامر فى رفعه
واصعاده صعب ولكن ارساله من هناك امر سهل والحاجة الى المال ضرورية فى العيش وهو نافع فى اظهار الحكمة والفضيلة
ومكتسبه من وجهه صعب عليه وذلك ان المكاسب الجميلة قليلة ووجوهها يسيرة عند الرجل العادل الحر فاما غير العادل
فليس يبالى كيف اكتسبه ومن اين وصل اليه ولاجل ذلك يوجد كثير من الاحرار الفضلاء ناقص الحظ منه ويوجد
ايضا ذامين للبخت شاكين منه فاما اضدادهم فلاجل انهم يكتسبون المال من وجوه الخيانات ولا يبالون كيف وصلوا
اليه فانهم يوجدون ابدا اوفر الحظ منه واسعى بالنفقات شاكرين لبختهم والعامة يغبطونهم ويحسدونهم الا ان
العاقل اذا رأى نفسه وهو برى من الدناءات نقى العرض من السوءات لم يتدنس بالقبيح من المكاسب ولم يتطرق اليه
بخيانة ولا سرقة ولا ظلم لمن هو دونه ومثله وتجنب وجوه العار والفضائح كالقيادة والخداع وترويج السلع القبيحة
على الملوك وستر العيوب من امورهم بالخدع والمكر ومساعدتهم على الفواحش وتحسين القبائح مما يوافق هواهم وما يجرى
مجرى ذلك من السعاية والنميمة والغيبة وضروب الفساد التى يرتكبها طلاب المال من غير وجهه من ضروب المغابنات
ووجوه الظلم اشتد بنفسه وتعاض من المال الراحة والنزاهة فلا يلوم البخت ولا يبغض الدول ولا يحسد اصحاب
الاموال المكتسبة من غير وجوهها الجميلة فهذه احوال المكتسبين للاموال ومنفقيها وكذلك حال من عمل عمل
العادل وليس بعادل وذلك انه اذا عدل فى بعض الامور مراياة ليصل به الى كرامة او مال او غير ذلك من
الشهوات ولبعض الاغراض التى عددناها فيما تقدم فليس هو عادلا وانما يعمل اعمال العدول للغرض الذى يقصده فينبغى

ان ينسب فعله الى غرضه فانه بحسب هذا يفعل ذلك كما قلناه وشرحناه فاما العادل بالحقيقة فهو الذي يعدل قواه وافعاله
واحواله كلها حتى لا يزيد بعضها على بعض ثم يروم ذلك فيما هو خارج عنه من المعاملات والكرامات ويقصد في جميع ذلك
فضيلة العدالة نفسها لا غرضا آخر سواها وانما يتم له ذلك اذا كانت له هيئة نفسانية ادبية يصدر عنها افعاله كلها بحسبها
ولما كانت العدالة توسطا بين اطراف وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص اليه صارت اتم الفضائل واشبهها بالوحدة
واعنى بذلك ان الوحدة هي التي لها الشرف الاعلى والرتبة القصوى وكل كثرة لا ينظمها معنى يوحدها فلا قوام لها ولا ثبات
والزيادة والنقصان والكثرة والقلة هي التي تفسد الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة يحفظ عليها الاعتدال بوجه ما والاعتدال
هو الذي يرد اليها ظل الوحدة ومعناها وهو الذي يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت والاضطراب
الذي لا يحد ولا ينضبط ذلك بالمساواة التي هي خليفة الوحدة في جميع الكثرات واشتقاق هذا الاسم ينبئك عن معناه
ان العدل في الاحوال والاعتدال في الانفعال والعدل في الافعال مشتقة من معنى المساواة والمساواة هي
اشرف النسب المذكورة في صناعة الموسيقى وغيرها ولذلك لا تنقسم ولا يوجد لها انواع وانما هي وحدة في معناها
او ظل للوحدة واذا لم نجد المساواة التي هي المثل بالحقيقة في الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة التي تحيل اليها وتعود الى
حقيقتها وذلك انا حينئذ نضطر الى ان نقول نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا ولهذا لا يوجد النسب الا بين
اربعة او ثلاثة يتكرر فيها الوسط فيصير ايضا اربعة والنسبة الاولى تسمى منفصلة والثانية تسمى متصلة ومثال
الاولى انا نأخذ الاولى اربعة فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ج الى د فهذه النسبة منفصلة ومثال الثانية
ان نأخذ الباء مشتركا فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ب الى ج وهذه النسبة يوجد في ثلاثة اشياء وهي النسبة العددية
والنسبة المساحية والنسبة التاليفية وجميع ذلك مبين مشروح في المختصر الذي عملناه في صناعة الارثماطيقي فاما
سائر النسب فراجعة اليها ولذلك عظمها الاوائل واستخرجوها وبها العلوم الجمة الشريفة ولما كانت نسبة المساواة عزيزة لانها ظل
الوحدة عدلنا الى حفظ هذه النسب الاخيرة في الامور الكثيرة التي يلابسها لانها عائدة اليها وغير خارجة عنها **فنقول** ان العدالة
الخارجة عنا تجيء في قسمة الاموال والكرامات والثاني في قسمة المعاملات الارادية كالبيع والشرى والمعاوضات والثالث في قسمة الاشياء
التي وقع فيها ظلم وتعد واما العدل في الامور التي تكون في القسم الاول فيكون بالنسبة المنفصلة التي بين الاربعة
اعني ان يكون نسبة الاول الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع مثال ذلك ان يقال ان نسبة هذا الانسان

الانسان الى هذه الكرامة او الى هذا المال كنسبة كل من كان فى مثل مرتبته الى مثل قسطه فاذن يجب ان توفر
عليه ويسلم له فاما ما فى الامور التى تكون فى القسم الثانى اعنى المعاملات فيكون بالنسبة المنفصلة مرة وبالنسبة المتصلة
اخرى مثال ذلك ان نقول ان نسبة هذا البزاز الى هذا الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف ثم ليس يمنع
مانع ان نقول ان نسبة البزاز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى النجار ونقول نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى الكرسى
ويتبين لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى تكون بالعمق فقط والنسبة الثانية بالعرض والعمق جميعا
ان الاولى تقع بين الكليين والجزئيين فهو بالعمق اشبه وذلك ان الانسان متى كان على نسبة من انسان اخر فبطل هذه النسبة
بحيف او ضرر يلحقه به فان العدالة توجب ان يلحق به ضرر مثله ليعود التناسب الى ما كان عليه فالعادل من شانه ان يساوى
بين الاشياء غير المتساوية مثال ذلك ان الخط اذا قسم بقسمين غير متساويين نقص من الزائد وزاد على الناقص
حتى يحصل له التساوى ويذهب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع ما اشبه ذلك
ولكن ينبغى ان يكون عالما بطبيعة الوسط حتى يرد الطرفين اليه مثال ذلك الربح والخسران فانهما فى باب المعاملات
طرفان احدهما زيادة والاخر نقصان فان اخذ اقل مما يجب صار الى جانب النقصان وان اخذ اكثر مما يجب كان
خارجا الى جانب الزيادة والشريعة هى التى ترسم فى كل واحد من هذه الاشياء التوسط والاعتدال ولان الناس
هم مدنيون بالطبع ولا يتم لهم عيش الا بالتعاون فبعضهم يجب ان يخدم بعضا ويأخذ بعضهم من بعض ويعطى
بعضهم بعضا فهم يطلبون المكافاة على المناسبة فاذا اخذ الاسكاف من النجار عمله واعطاه عمله فهو المعاوضة اذا
كان العملان متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الاخر فيكون الدينار بين المقوم
والمعادل بينهما فالدينار هو عدل ومتوسط الا انه ساكت والانسان الناطق هو الذى يستعمل ويقوم به
جميع الامور التى تكون بالمعاملات حتى تجرى على استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة فلذلك يستعان
بالحاكم الذى هو عدل ناطق اذا لم يستقم الامر بين الخصمين بالدينار الذى هو عدل ساكت وارسطو يقول
ان الدينار ناموس عادل ومعنى الناموس فى لغته السياسة والتدبير وما اشبه ذلك فهو يقول فى
كتابه المعروف بنيقوماخيا ان الناموس الاكبر هو من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس ثان من قبله
والدينار ناموس ثالث فناموس الله تعالى قدوة النواميس يعنى الشريعة والحاكم الثانى مقتد به والدينار مقتد ثالث

وانما قومت الاشياء المختلفة بالاثمان المختلفة لتصح المشاركات والمعاملات **وتبين** الاخذ والاعطاء البيان
هو الذى يساوى بين المختلفات ويزيد فى شئ وينقص من اخرحتى يحصل بينهما الاعتدال فيستوى المعاملة بين الفلاح والنجار
مثلا وهذا هو العدل المدنى وبالعدل المدنى عمرت المدن وبالجور المدنى خربت المدن وليس بممتنع ان يكون عمل
يسير يساوى عملا كثيرا ومثال ذلك ان المهندس ينظر نظرا قليلا ويعمل عملا يسيرا ويساوى نظره هذا عملا كثيرا من
اقوام يكدون بين يديه ويعملون ما يرسمه وكذلك صاحب الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرا ولكنه يساوى اعمالا كثيرة يحملون
بين يديه ويعملون الاعمال الثقيلة العظيمة فالجاير يبطل التساوى وهو عند ارسطاطاليس على ثلاث منازل فالجاير
الاعظم هو الذى لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها والجاير الثانى هو الذى لا يقبل قول الحاكم العادل فى معاملاته و
اموره كلها والجاير الثالث هو الذى لا يكتسب ويغصب الاموال فيعطى نفسه اكثر مما يجب وغيره اقل مما يجب له قال
فالمتمسك بالشريعة يعمل بطبيعة المساواة فيكتسب الخير السعادة من جهة العدالات لان الشرع يامر بالاشياء المحمودة فاما
من عند الله عز وجل فلا تامر الا بالخير والا بالاشياء التى تفعل السعادة وهى ايضا ينهى عن الرذائل البدنية وتامر ايضا بالشجاعة و
حفظ الترتيب والثبات فى مصاف الجهاد وتامر بالعفة وتنهى عن الفسق والافتراء والشتم والهجر وبالجملة تامر بجميع الفضايل وتنهى عن
جميع الرذايل فالعادل يستعمل العدالة فى ذاته وشركائه المدنيين والجاير يستعمل الجور فى ذاته وفى اصدقائه ثم جميع شركائه
المدنيين قال وليست العدالة جزءا من الفضيلة بل هى الفضيلة كلها والجور الذى هو ضدها جزءا من الرذيلة لكنها
الرذيلة كلها فبعض انواع الجور ظاهر يفعل بالارادة مثل ما يكون فى البيع والشرى والكفالات والقرض والعوارى
وبعضها خفى يفعل ايضا بالارادة مثل السرقة والفجور ومثل القيادة وخداع المماليك وشهادة الزور وبعضها غشمى
على سبيل التغلب مثل التعذيب بالدهق والعيق والاغلال والعرية فالامام العادل الحاكم بالسوية يبطل هذه
الانواع ويخلف صاحب الشريعة فى حفظ المساواة فهو لا يعطى ذاته من الخيرات اكثر مما يعطى غيره ولذلك قيل فى الخبر
ان الخلافة تطهر الانسان قال فاما العامة فانها يؤهل مرتبة الامامة اعنى الخلافة من كان شريفا
فى جنسه ونسبه وبعضهم يؤهل لذلك من كان حكيما فاضلا فان الحكمة والفضيلة هى التى تعطى الانسان
الرياسات والسياسات الحقيقية وهى التى رتبت الاول والثانى فى مرتبتهما وفضيلتهما واسباب المفضلات كلها
تنقسم الى اربعة انواع احدها الشهوة ويتبعها الرداءة والثانى الشرارة ويتبعها الجور والثالث الخطاء

الخطاء وثانيها الحزن والرابع الشقاء ونتبعها بما يليقها من الفحص اما الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار بغيره الا انه
لا يكون مؤثرا له ولا ملتذا به ولكنه يفعله ليصل به الى شهوته وربما كان متألما به كارها له الا ان قوة الشهوة تحمله
على ان يتحمل ما يرتكب واما الشرير فانه يتعمد الاضرار بغيره على سبيل الايثار له والالتذاذ به كمن يسعى الى السلطان
ويحمله الى ازالة نعمة لا يصل اليه منها شئ لكن يلتذ بالمكروه الذى يصل الى غيره واما الخطاء فان صاحبه لا يقصد
الاضرار لغيره ولا يؤثره ولا يلتذ به بل يقصد فعلا ما فيعرض منه فعل اخر وصاحب الفعل يحزن ويكتئب لما اتفق عليه
من الخطاء واما الشقاء فصاحبه لا يكون مبدأ فعله ولا له فيه صنع بالقصد لكن يوقعه فيه سبب اخر من خارج
وذلك كمن يصدم به دابته المراد صيد يقال له فيقتله او يرمى بسهم الى صيد فيصيب له فهذا الذى يسمى شقيا
وهو مرحوم معذور لا يجب عليه عتب ولا عقوبة فاما السكران والغضبان والغيران اذا فعلوا افعالا قبيحة فانهم
يستحقون العتب والعقوبة لان مبدأ فعلهم اليهم وذلك ان السكران يختار ازالة عقله والغضبان والغيران
يختاران الانقياد لهاتين القوتين اذا هاجتا به ولنعد الى ما كنا فيه من ذكر العدالة **فنقول** ان ارسطو
قسم العدالة الى ثلثة اقسام احدها ما يقوم به الناس لرب العالمين وهو ان يجرى الانسان فيما بينه
وبين الخالق عز وجل على ما ينبغى بحسب ما يجب وكما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته وذلك ان العدل اذا
كان هو اعطا من يجب ما يجب كما يجب فمن المحال ان لا يكون لله تعالى الذى وهب لنا هذه الخيرات العظيمة
واحب ما ينبغى ان يقوم به الناس والثانى ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤسا
وتادية الامانات والنصفة فى المعاملات والثالث ما يقومون به من حقوق اسلافهم مثل اداء الديون
عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا ما قاله ارسطوطاليس فى تحقيق ما قاله مما يجب لله عز وجل
وان كان ظاهرا فانا نقول فيه ما يليق بهذا الموضع وهو ان العدالة لما كانت يظهر فى الاخذ والاعطاء
وفى الكرامات التى ذكرناها وجب ان يكون لما يصل الينا من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التى لا تحصى حق
نقابل عليه وذلك ان من اعطى خيرا ما وان كان قليلا ثم لم ير ان تقابله بضرب من المعاملة فهو جائر فكيف
به اذا اعطى جما كثيرا ولم يزل اخذا دائما ثم لم يعط فى مقابلته شيئا البتة ثم على قدر النعم التى يصل الى الانسان
يجب ان يكون اجتهاده فى المقابلة عليها ومثال ذلك ان الملك الفاضل اذا امن السرب وبسط العدل

واى سع العمارة وجمع الحريم وذهب عن الجور ومنع من المظالم ووفر التاجر علی ما يختاره من مصالحهم ومعايشهم فقد
احسن الى كل واحد من رعيته احسانا يخصه فی نفسه وان كان يعمهم بالجمع واستحق من كل احد منهم ان يقابله
ضربا من المعاملة متى فعل كان جابرا اذ كان ياخذ نعمته ولا يعطيه شيا لكن مقابلة الملك من جهة رعيته انما يكون
باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة فی السر والعلانية والمحبة الصادقة واتمام
سيرته بحسب استطاعته والاقتداء به فی تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدينته ورعيته
كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله فمن لا يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة فقد جار وظلم وهذا
الجور والظلم انما كان فی مقابلة النعم الكثيرة افحش واقبح وذلك ان الظلم وان كان فی نفسه قبيحا فان مرتبه
كثيرة لان مقابلة كل نعمة انما يكون بحسب لها موقعها وتعدد فوايدها وعايدتها وعلى مقدار عددها فان كانت
النعم كثيرة العدد وعظيمة الموقع فكيف يكون حال من لا يلتزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا
محبة صادقة ولا مسعاة صالحة واذا كان هذا الامر فامنكرا واجبا غير مجحود فی ملوكنا ورؤسائنا فكيف بالحرى ان يكون
لملك الملوك الذی يصل الينا فی كل يوم بل فی كل طرفة عين ضروب احسانه الفائض على اجسامنا ونفوسنا التی
لا يقع عليها احصاء ولا احد من الحقوق الواجب علينا القيام بها والنهوض بتاديتها اترانا نجهل النعم الاولى علينا
بالوجود ثم تربيتنا بها متواترة بعد ذلك بالخلق الجسدانی الذی افنی فيه صاحب كتاب التشريح ومنافع الاعضاء نحو
الف ورقة ثم لم يبلغ بعض ما عليه كنهه الامر اترانا نجهل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى والملكات
التی لا نهاية لها وما امدها من فيض العقل ونوره وبهائه وبركاته وما عرضنا به للملك الابدی والنعيم
السرمدی لا لعمری ما نجهل هذه النعم الا اللئيم فاما الانسان فيعرف من ذلك ما يضطره اليه مشاهدة
الخيال فی جميع اوقاته واذا كان الخالق تعالى غنيا من معونتنا ومساعينا فمن المحال القبيح والجور الفاحش
ان لا نلتزم نحن له حقا ولا نقابله على هذه الالاء والنعم بما نزيل عنا سمة الجور والخروج عن شريطة العدل
الا ان ارسطاطاليس فی هذا الموضع لم ينص على العبادة التی يجب ان يلتزمها لخالقنا عز وجل غير انه قال
ما هذه حكاية وقد اختلف الناس فيما ينبغی ان يقوم به المخلوقون لخالقهم تعالى جل ذكره فبعضهم
راى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل ومصليات وقرابين وبعضهم راى ان يقتصر على

على الاقرار بربوبيته والاعتراف باحسانه وتمجيده بحسب استطاعته وبعضهم راى ان يتقرب اليه بان يحسن الى نفسه بتزكيتها وحسن سياستها والاحسان الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة ثم بالحكمة والموعظة وبعضهم راى ان البحث بالفكر في الالهيات والنصوص ونحو المحاولات التي يتزيد بها الانسان من معرفة ربه عز وجل حتى يتكامل به معرفته به وبحقيقة وحدانيته وصرف التوكل اليه وهو ما يجب على الانسان لخالقه عز وجل وبعضهم راى ان الواجب لله عز وجل على الناس ليس سبيله واحدا ولا هو شيء بعينه يلتزمه الجميع التزاما واحدا وعلى مثال واحد ولكنه يختلف بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله ارسطاطاليس بالفاظه المنقولة الى العربية فاما ما قاله الحذاق من الفلاسفة فانهم قالوا عبادة الله عز وجل في ثلثة انواع احدها فيما يجب له على الابدان كالصلوة والصيام والسعي الى الموقف الشريفة لمناجاة الله عز وجل والثاني فيما يجب له على النفوس كالاعتقادات الصحيحة مثل العلم بتوحيد الله تعالى وما يستحقه من الثناء والمجد وكالفكر بما افاضه الله على العلم من وجوده وحكمته ثم الاتساع في هذه المعارف والثالث فيما يجب عنده مشاركات الناس في المدن وهي في المعاملات والمزارعات والمناكح وفي تادية الامانات ونصيحة البعض للبعض بضروب المعاونات وعند جهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة قالوا فهذه العبادات هي الطرق المودية الى الله عز وجل وهي التي تجب له على عباده وقال اخرون عبادة الله في ثلاث وهي الاعتقاد الحق وقول الصواب والعمل الصالح ثم ان العمل ينقسم الى البدن كالصيام والصلوة والى ما هو خارج عن البدن كالمعاملات والجهاد ثم ان المعاملات ينقسم الى المعاوضات والمناكح والمعاونات وهذه الانواع وان كانت معدودة محصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة واقسام غير محصاة وللانسان فيها مقامات ومنازل عند الله فالمقام الاول للموقنين وهو مرتبة الحكماء واجلة العلماء والمقام الثاني هو مقام المحسنين وهو مرتبة الذين يعملون ما يعلمون وهو ما ذكرناه في كتابنا هذا من الفضائل والعمل بها والمقام الثالث مقام الابرار وهو مرتبة الصالحين وهولاء هم خلفاء الله عز وجل بالحقيقة في اصلاح العباد والبلاد والمقام الرابع مقام الفائزين وهو مرتبة المخلصين في المحبة واليها ينتهي رتبة الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام لمخلوق واسعد الانسان بهذه

المنازل اذا حصلت له اربع خلال اولها الحرص والنشاط والثانى العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والثالث
الحياء من الجهل ونقصان القريحة اللذين يحدثان بالاهمال والرابع هذه الفضايل والترقى فيها دائما بحسب الاستطاعة
فهذه اسباب الاتصال وبضدها انقطاعات عن الله عز وجل ومسافطة وهى التى يعرف باللعاين فاولها السقوط الذى يستحق
به الاعراض ويتبعه الاستهانة والثانى السقوط الذى يستحق به الحجاب ويتبعه الاستخفاف والثالث السقوط الذى يستحق
به الطرد ويتبعه المقت والرابع السقوط الذى يستحق به الجفاء ويتبعه البغض وانما يشقى العباد اذا حصل على اربع
خلال اولها الكسل والبطالة ويتبعهما ضياع الزمان وفناء العمر بغير فائدة انسانية والثانية الغباوة والجهل
المتولدان عن ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التى احصيناها فى كتاب ترتيب السعادات والثالثة الوقاحة التى ينتجها
اهمال النفس اذا اتبعت الشهوات وترك ذمها عن ركوب الخطايا والسيآت والرابعة الانهماك الذى يحدث عن
الاستمرار فى القبائح وترك الانابة وهذه الانواع الاربعة مسماة فى الشريعة باربعة اسماء فالاول هو الزيغ والثانى
هو الرين والثالث هو الغشاوة والرابع هو الختم ولكل واحدة من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره عند مداواة
اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله عز وجل وهذه الاشياء التى عددناها الآن لا اختلاف بين الحكماء
فيها وبين اصحاب الشرائع وانما يختلف بالعبارات والاشارات اليها بحسب اللغات وافلاطن يقول ان العدالة
اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء النفس على كل واحد منها وذلك لحصول فضائلها اجمع فيها
فحينئذ ينهض النفس فيؤدى فعلها الخاص بها على افضل ما يكون وهذه غاية قرب الانسان السعيد من الله تقدس
اسمه قال والعدالة توسط ليس على جهة التوسط الذى فى الفضايل التى تقدم ذكرها لكن لانه فى الوسط
والجور فى الطرفين وانما صار الجور فى الطرفين لانه زيادة ونقصان معا وذلك ان من شان الجور طلب الزيادة
والنقصان معا اما الزيادة فمن النافع على الاطلاق واما النقصان فمن الضار فلذلك يكون الجاير مستعملا
للزيادة والنقصان معا اما النفسه فيستعمل الزيادة فى النافع واما لغيره فيستعمل النقصان منه واما فى الضار
فبالضد وعلى العكس وذلك انه اما لنفسه فيستعمل النقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة فالفضايل التى قلنا انها
اوساط بين الرذايل هى غايات ونهايات وذلك ان الوسط بينها نهاية لها من كل جهة فهو فى غاية البعد
منها ولذلك من بعد من الوسط زيادة بعد قرب من رذيلة كما قلنا فيما تقدم فقد تبين من جميع ما

ما قدمنا ان الفضائل كلها اعتدالات وان العدالة اسم يشملها ويعمها كلها وان الشريعة انما كانت تعدل الافعال الارادية
التي تقع بالروية وبالوضع الالهي صار المتمسك بها في معاملاته عدلا والمخالف لها جائرا فلهذا قلنا ان العدالة تعقب التمسك
بالشريعة الا انا قد قلنا مع ذلك انها هيئة نفسانية يصدر عنها هذه الفضيلة فتصور هذه الهيئة النفسانية فانك
ستدري روية واضحة ان صاحبها ينقاد لا محالة للشريعة طوعا ولا تضادها بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا حافظ
على المناسبات التي ذكرناها لانها مساواة وآثرها على حالة الراي فيها على سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجبت
عليه موافقة الشريعة وترك مخالفتها واقل ما يكون المساواة بين اثنين ولكنها تكون في معاملة مشتركة بينهما
وهي الشيء الثالث وربما كان شيئين كما قلنا ليصير المناسبات بين اربعة كما قلنا وينبغي ان يعلم هذه الهيئة
النفسانية غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة اما الفعل فلانا قد بينا انه قد لا يقع عن هيئة نفسانية
كمن يعمل اعمال العدالة وليس بعادل وكمن يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع واما القوة والمعرفة فلان كل
واحدة منهما هي بعينها للضدين معا فان العلم بالضدين واحد وكذلك القوة على الضدين قوة واحدة فاما
الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي غير الهيئة القابلة لضد الاخر ومثال ذلك هيئة الشجاع فانها غير هيئة
الجبان وكذلك هيئة العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور ثم ان العدالة والحرية تشتركان
في باب المعاملات والاخذ والاعطاء الا ان العدالة تقع في اكتساب المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها
والحرية تقع في انفاق المال على الشرائط التي ذكرناها ايضا ومن شان من يكتسب ان ياخذ فهو بالمنفعل اشبه ومن
شان المنفق ان يعطي فهو بالفاعل اشبه فلهذه العلة تكون محبة الناس للحر اشد من محبتهم للعادل الا ان نظام
العالم بالعدالة اكثر منه بالحرية وخاصية الفضيلة هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصية محبة الناس وحمدهم
في بذل المعروف لا في جمع المال فالحر لا يكرم المال ولا يجمعه لذاته بل لتصرفه في وجوهه التي يكتسب بها المحاب و
المحامد ومن خاصيته ان لا يكون كثير المال لانه منفاق ولا يكون ايضا فقيرا لانه كسوب من حيث ينبغي وهو غير متكاسل
عن الكسب المعيشة لانه بالمال يصل الى فضيلة الحرية ولذلك لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا ايضا يشح
به فلا يستعمل التقتير فكل حر عادل وليس كل عادل حرا وفي هذا الموضع مسئلة عويصة سال عنها الحكماء
انفسهم واجابوا عنها بجواب مقنع ويمكن ان يجاب فيه بجواب آخر هو اشد اقناعا ويجب ان يذكر الجميع وهو ان السائل

ان يشك فنقول اذا كانت العدالة فعلا اختياريا يتعاطاها العادل ويقصد بها تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس فيجب ان يكون الجور فعلا اختياريا يتعاطاه الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة ومذمة الناس ومن القبيح الشنيع ان يظن بالانسان العاقل انه يقصد الاضرار بنفسه بعد الروية وعلى سبيل الاختيار ثم اجابوا عن ذلك وحلوا هذا الشك بان قالوا ان من ارتكب فعلا يؤدي به الى ضرر او عذاب فانه يكون ظالما لنفسه وصار الظلم من حيث يقدر ان ينفعها وذلك لسوء اختياره وترك مشاورة العقل فيه ومثال ذلك الحاسد فانه ربما جنى على نفسه على سبيل الاضرار بنفسه بل لا يظن انه ينفعها بالعاجل في الخلاص من الاذى الذي يلحقه من الحسد فهذا جواب القوم فاما الجواب الآخر فهو ان الانسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى مجموعها انسانا واحدا لم ينكر ان يصدر عنه افعال مختلفة بحسب تلك القوى وانما المنكر ان يكون الشيء الواحد البسيط ذو القوة الواحدة يقع منه بتلك القوة افعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة ولا بقدر المقابلات منه بل بتلك القوة الواحدة فقط فهذا الغرض منكر مستشنع ولكن الانسان قد تبين من حاله ان له قوى كثيرة فيعمل بكل قوة عملا مخالفا للعمل الآخر اعني ان صاحب الغضب اذا استشاط يختار افعالا مخالفة لافعاله اذا كان ساكنا وادعا وكذلك صاحب الشهوة الهائجة وصاحب النشوة الطروب فان من شان هؤلاء ان يستخدموا العقل الشريف في تلك الحال ولا يستشيروه وكذلك نجد العاقل اذا تغيرت احواله تلك فصار من الغضب الى الرضا ومن السكر الى الافاقة تعجب من نفسه وقال ليت شعري كيف اخترت تلك الافعال القبيحة فيلحقه الندم وانما ذلك لان القوة التي تهيج به تدعوه الى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحا له جميلا به ليتم به حركة القوة الهائجة فاذا سكن عنها ورجع عقله ورأى قبح ذلك الفعل وفساده وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب الشهوات ومحبة الكرامات التي لا يستحقها كثيرة جدا فهو بحسب قواه الكثيرة يكون افعاله كثيرة فاذا تعود الانسان ان يكون لسيرته فاضلة ولم يقدم على شيء من افعاله الا بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت افعاله كلها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن العدل اعني المساواة التي قدمنا القول فيها ولهذا السبب قلنا ان السعيد هو من اتفق له في صباه ان ياخذ بالشريعة ويستسلم لها ويتعود جميع ما تامره به حتى اذا بلغ مبلغ الذي يمكنه معه ان يعرف الاسباب والعلل طالع الحكمة فوجدها موافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رايه وقويت بصيرته ونفذت عزيمته وههنا مسألة عويصة اشد من الاولى وهو ان التفضل محمود جدا وليس يقع تحت

تحت العدالة لان العدالة كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد حكمنا ان العدالة تجمع الفضائل كلها ولا مزيد
عليها بل يجب ان يكون الزيادة عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم ليكون شرف الوسط الذي تقدم وصفه
في سائر الاخلاق خاصة للعدالة فالجواب عنها ان التفضل احتياط يقع من صاحبه في العدالة ليامن من وقوع النقص
في شيء من شرائطها وليس الوسط في كل طرفين من الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة في باب السخاء
اذا لم يخرج الى التبذير احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على شرائطه حتى يصير كالاحتياط عليه فاما
العفة فان النقصان من الوسط فيها احسن من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على شرائطه وابلغ في الاحتياط عليه و
اخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يستعمل التفضل الا حيث يستعمل العدالة اعني بذلك ان من اعطى ماله من لا يستحق شيئا منه وترك
مساواة من يستحقه لا يسمى متفضلا بل مضيعا وانما يكون متفضلا اذا اعطى من يستحق كما يستحق ثم زاد تفضلا وهذه الزيادة
ليست من الزيادة التي ذكرناها في باب السخي لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف الذي يسمى تبذيرا وهو مذموم
ويعرف ذلك من وجدها وهو بذل ما لا ينبغي لمن لا ينبغي على الوجه الذي لا ينبغي فاذن التفضل غير خارج عن شرط
العدالة بل هو محتاط عليها ولذلك قيل ان المتفضل اشرف من العادل فقد بان ان التفضل غير العدالة بل هو العدالة
مع الاحتياط فيها وكانه مبالغة لا يخرجها عن معناها لان هذه الهيئة النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هي هي
فاما الاطراف التي هي رذائل اعني الزيادة والنقصان التي سبق القول فيها ففي كلها هيئات مذمومة غير الهيئات المحمودة وهذه
هذه الاشياء هي التي يحصل لك معانيها ومشاركة بعضها لبعض وتشابه بعضها لبعض ايضا فان الشريعة تامر بالعدالة امرا كليا وليس
ينحط الى الجزئيات واعني بذلك ان العدالة التي هي المساواة تكون مرة في باب الكم ومرة في باب الكيف
وفي سائر المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء الى الهواء مثلا ليست تكون بالكمية بل بالكيفية ولو كانت
بالكمية لوجب ان يكونا متساويين في المساحة ولو كانا كذلك لتغالبا واحال احدهما الآخر الى ذاته
وكذلك النار والهواء ولو احالت هذه العناصر بعضها بعضا لفني العالم في ادنى مدة ولكن الباري تقدس اسمه
عدل بين هذه بالقوة فتقاومت فليس يغلب احدهما الآخر بالكلية وانما يحيل الجزء منها الجزء في الاطراف
اعني حيث يلتقي نهاياتها فاما كلياتها فلا تقدر على كلياتها لان قواها متساوية متعادلة على غاية
السوية والتعادل وبهذا النوع من العدل قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض ولو رجح احدهما

على الآخر بزيادة يسيرة لأحال الزائد الناقص وقوى عليه بفضل العالم فسبحان القائم بالقسط لا إله إلا هو
العزيز الحكيم فلما كانت الشريعة تامر بالعدالة الكلية لم تامر بالتفضل الكلي بل ندبت اليه ندبا ليستعمل في الجزئيات
التي لا يمكن ان نتعين عليها لانها بلا نهاية وجرت القول في العدالة الكلية لانها محصورة يمكن ان يعين عليها
وقد تبين ايضا مما قدمناه ان التفضل انما يكون في العدالة التي تخص الانسان في نفسه اعني تسوية المعاملة
اولا فيما بينه وبين غيره ثم الاستظهار فيه والاحتياط عليه بما يكون تفضلا ولو كان حاكما بين قوم ولا نصيب
له في تلك الحكومة لم يجز له التفضل ولم يسعه الا العدل المحض والتسوية الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان
وتبين ايضا ان الهيئة التي يصدر عنها الافعال العادلة متى نسبت الى صاحبها سميت فضيلة ومتى نسبت
الى من يعامل بها سميت عدالة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية فاستعمال المرء العاقل العدل على
نفسه اول ما يلزمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل ذلك وبينا كيف يعدل قواه الكثيرة اذا
هاج به بعضها واشرنا الى اجناس هذه القوى الكثيرة وان بعضها يكون بالشهوات المختلفة وبعضها يطلب
الكرامات الكثيرة وانها اذا تغالبت وتهايجت حدث في الانسان باضطرابها انواع الشر وجذبه كل واحد
منها الى ما يوافقه وهكذا سبيل كل مركب من كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد ينظمها ويوحدها وارسطو يشبه
كل من كان كذلك بمن يجذب من جهتين فينقطع بينهما وينشق بنصفين او من جهات كثيرة فينقطع بحسب
تلك الجهات وقواها وليس ينظم هذه الكثرة التي ركبت منها الانسان الا الرئيس الواحد الموهوب له بالفطرة
اعني العقل الذي به يميز من البهائم وهو خليفة الله عنده فان هذه القوى كلها اذا ساسها العقل اعتدلت
وزال عنها سوء النظام الذي يحدث من الكثرة وجميع ما ذكرناه من اصلاح الاخلاق مبني عليه فاذا تم
للانسان ذلك اعني ان يعدل على نفسه وحاز هذه الفضيلة فقد لزمه ان يعدل على اصدقائه واهله
وعشيرته ثم يلزمه ان يستعمل ذلك في الاباعد ثم في ساير الحيوان واذ قد صح ذلك وظهر ظهورا حسنا
فقد ظهر بظهوره ان شر الناس من جار على نفسه ثم على اصدقائه ثم عشيرته ثم على كافة الناس والحيوان لان
العلم باحد الضدين هو العلم بالضد الآخر فخير الناس العادل وشرهم الجاير كما قلنا وقد قال قوم ان نظام
امر الموجودات كلها وصلاح احوالها معلق بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه

هذه الفضيلة لعني الهيئة التي تصدر عنها العدالة عند تعاطي المعاملات لما فاته شرف المحبة ولو كان المتعاملون احباء لينا صفوا ولم يقع بينهم خلاف وذلك ان الصديق يحب صديقه ويريد له ما يريده لنفسه وليس يتم الثقة والتعاضد والتوازر الا بين المتحابين فاذا تعاضدوا وجمعتهم المحبة وصلوا الى جميع المحبوبات ولم يتعذر عليهم المطالب وان كانت صعبة شديدة وحينئذ ينشأ الآراء الصائبة ويتعاونون العقول على استخراج الغوامض من التدابير القويمة ويقوون على نيل الخيرات كلها بالتعاضد وارسطاطاليس حدّ من نصر هذا الرأي وقواه وهؤلاء القوم انما نظروا الى فضيلة الاتحاد التي تحصل بين الكثرة ولعمري انها اشرف غايات اهل المدينة وذلك انهم اذا تحابوا تواصلوا واراد كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريده لنفسه فتصير القوى الكثيرة واحدة ولم يتعذر على احد منهم راي صحيح ولا عمل صواب ويكونون مثلهم في جميع ما ذكرنا ولو مثل من يريد تحويل ثقل عظيم بنفسه ولا يطيق ذلك فان استعان بقوة غيره حركه ومدبر المدينة انما يقصد بجميع تدابيره ايقاع المودات بين اهلها واذا تم له هذا خاصة فقد تم له جميع الخيرات التي يتعذر عليه وحده وعلى افراد اهل مدينة وحينئذ يغلب اقرانه ويتمم بلذاته ويعيش هو ورعيته مغبوطين ولكن هذا الاتحاد المطلوب المرغوب فيه لا يتم الا بالآراء الصحيحة التي يرجى الاتفاق من العقول السليمة عليها والاعتقادات القوية التي لا يحصل الا بالديانات التي يقصد بها وجه الله عز وجل واصناف المحبة كثيرة وان كانت ترتقي كلها الى وجه واحد وسنقول بعون الله فيها بما سنح فيما يتلو هذه المقالة

تمت المقالة الرابعة

قد سبق القول في حاجة بعض الناس الى بعض وتبين ان كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه وان الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون الى تماماتها ولا سبيل لافرادهم والواحد فالواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه كما شرحناه فيما مضى فالحاجة صادقة والضرورة داعية الى حال الجمع وتؤلف بين اشتات الاشخاص ليصيروا بالاتفاق والايتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له وللمحبة انواع واسباب بها تكون بعدد انواعها فاحد انواعها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا والثاني ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا والثالث ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا والرابع ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وانما انقسمت الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس في

مطالبهم وسيرهم ثلثة ويتركب بينها اربع وهى اللذة والخير والنافع والمركب منها واذا كانت هذه غايات الناس فى مقاصدهم فلا محالة انها اسباب المحبة من يعاونون عليها وصارسببا للوصول اليها واما المحبة التى تكون سببها اللذة فهى التى ينعقد سريعا وتحل سريعا وذلك ان اللذة سريعة التغير كما شرحنا امرها فيما تقدم واما المحبة التى سببها الخير فهى التى ينعقد سريعا وتحل بطيا واما المحبة التى سببها النافع فهى التى ينعقد بطيا وتحل سريعا واما المحبة التى يتركب من هذه اذا كان فيها الخير فانها تحل بطيا وتنعقد بطيا وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لانها تكون بارادة ويكون فيها مجازاة ومكافاة فاما التى تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالاحرى بها ان تسمى الفا وتقع بين الاشكال منها خاصة واما التى لا نفوس لها من الاحجار وامثالها فليس يوجد فيها الا الميل الطبيعى الى مراكزها التى تخصها وقد يوجد بينها منافرة ومشاكلة بحسب امزجتها الحادثة فيها من عناصرها الاول وهذه الامزجة كثيرة اذا وقع فيها ما يتناسب نسبة تأليفية او عددية او مساحية حدث بينها ضرب من المشاكلة واذا حدث اضداد هذه النسب وقعت بينها منافرة ويحدث لها اشياء يسمى خواص وهى افعال بديعة غريبة وهى التى يسمى سر الطبايع ولا سيما فى النسب بعد نسبة المساواة ولها اضداد اعنى لهذه النسب وهى مبينة مشروحة فى صناعة الارثماطيقى ثم فى صناعة التاليف واما الامزجة التى بحسب هذه النسب والوقوف عليها فهى خفية عنا وعسيرة المرام وقد ادعى قوم الوصول اليها وليست تكون هذه الافعال والخواص التى تحدث بين الامزجة من النسب المذكورة موجودة فى العناصر بنفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا وانما ذكرناها ههنا لانها تشبه المشاركات والمنافرات التى بين الحيوان فى الظاهر ولا تشبه التى تحدث بين الناس بالارادة وهى التى نتكلم فيها وتقع فيها مكافاة ومجازاة والصداقة نوع من المحبة الا انها اخص منها وهى المودة بعينها وليس يمكن ان يقع بين جماعة كثيرين كما يقع المحبة فاما العشق فهو افراط فى المحبة وهو اخص من المودة وذلك انه لا يمكن ان يقع الا بين اثنين فقط ولا يقع فى النافع ولا فى المركب من النافع وغيره وانما يقع لمحب اللذة بافراط وللمحب الخير بافراط والاول مذموم اعنى اللذة والاخر محمود الخير فالصداقة بين الاحداث ومن كان فى مثل طباعهم وانما تحدث لاجل اللذة فهم يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا وربما اتفق ذلك بينهم فى الزمان اليسير مرارا كثيرة وربما بقيت بقدر بقاء تلك اللذة ومعاودتها حالا بعد حال واذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة للوقت والحال والصداقة بين المشايخ ومن كان فى مثل طباعهم انما تقع لمكان المنفعة فهم يتصادقون بسببها فاذا كانت للنافع كثرتهم

بينهم وهي في الاكثر طويلة المدة كانت صداقتهم باقية فحين ينقطع علاقة النفعة بينهم وينقطع رجاؤهم
منها ينقطع مودّاتهم واما الصداقة بين الاخيار فيكون لاجل الخير وسببها هو الخير ولما كان الخير شيئا ثابتا غير متغير
الذات صارت مودّات اصحابها باقية غير متغيرة وايضا فلما كان الانسان مركبا من طبايع متضادة صار
ميل كل واحد منها يخالف ميل الاخر واللذة التي يوافق احدها يخالف لذة الاخر التي يضادها فلا يخلص له لذة
غير مشوبة باذى ولما كان فيه جوهر آخر بسيط الهي غير مخالط لشئ من الطبايع الاخر صارت له لذة غير مشابهة
لشئ من تلك اللذات وذلك انها بسيطة ايضا والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى يصير عشقا تاما
خالصا شبيها بالوله وهي المحبة الالهية الموصوفة التي تدعيها بعض المتالهين وهي التي يقول فيها ارسطو حكاية
عن ابن فلنطس ان الاشياء المختلفة لا تتشاكل ولا يكون منها تاليف جيد فاما الاشياء المتشاكلة فهي التي يسر
بعضها ببعض ويشتاق بعضها الى بعض فاقول ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشتاق بعضها الى بعض تالفت
صارت شيئا واحدا لا غيرية بينها اذ الغيرية انما يحدث من جهة الهيولى فاما الاشياء ذوات الهيولى وهي الاجرام
فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التاليف فانها لا يتحد ولا يمكن ذلك فيها وذلك انما يلتقي بنهاياتها
وسطوحها دون ذواتها وهذا الالتقاء سريع الانفصال اذا كان التاحد فيها ممتنعا وانما يتاحد بضرب استطاعتها
بملاقاة سطوحها فاذن الجوهر الالهي الذي في الانسان اذا اصفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة
ولم يجد بها انواع الشهوات واصناف محبات الكرامات اشتاق الى شبهه وراى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا يشوبه
مادة فاسرع اليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الاول عليه فيلتذ به لذة ويصير الى معنى الاتحاد الذي وصفناه
استعمل الطبيعة البدنية ام لم يستعملها الا انه بعد مفارقة الطبيعة الكلية احق بهذه الرتبة العالية
لانه ليس يصفو الصفاء التام الا بعد الحيوة الدنيوية ومن فضائل هذه المحبة الالهية انها لا تقبل النقصان
ولا تقدح فيها السعاية ولا يعترض عليها الملل ولا تكون الا بين الاخيار فقط واما المحبات التي تكون بسبب المنفعة
واللذة فقد يكون بين الاشرار وبين الاخيار والاشرار الا انها تنقضي وتنحل مع تقضي النافع واللذيذ لانها
عرضية وكثيرا ما يحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة الا انها يزول بزوال المواضع كالسفينة وما
جرى مجراها والسبب في هذه المحبة الانس وذلك ان الانسان انس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان

في اللغة العربية وقد تبين ذلك في صناعة النحو وليس كما يقول الشاعر ٤ سميت انسانا الا لانك ناسي
فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان وهو غلط منه وينبغي ان يعلم ان هذا الانس الطبيعي في
الانسان هو الذي ينبغي ان يحرص عليه ويكتسبه مع اخواننا ان لم نقوته بجهدنا واستطاعتنا فانه مبدأ المحبات
كلها وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل لهم هذا الانس
ولعل الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلوة الجماعة على صلوة
الوحدة ليحصل لهم هذا الانس الطبيعي الذي هو مبدأ المحبات وهو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم يتأكد فيهم
بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم وهذا الاجتماع في كل يوم ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة و
الدليل على ان غرض صاحب الشريعة عليه السلام ما ذكرناه انه اوجب على اهل المدينة باسرهم ان يجتمعوا
في كل اسبوع يوما بعينه في مسجد يسعهم ليجتمع ايضا شمل اهل المحال والسكك في كل اسبوع كما اجتمع شمل
اهل الدور والمنازل في كل يوم ثم اوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة مع اهل القرى والرساتيق المتقاربة
في سنة مرتين في مصلى بارز يسعهم المكان ويتراءوا ويتجدد الانس بين كافتهم ويشملهم المحبة الناظمة لهم
ثم اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان في العمر كله مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر
على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع اهل المدينة المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة ويصير حالهم في
الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجتمعوا بذلك
الانس الطبيعي الى الخيرات المشتركة ويتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم وليغتبطوا بالدين
القويم الذي الفهم على تقوى الله وطاعته والقيم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا يزول
عن اوضاعها هو الامام وصناعته هي صناعة الملك والاوائل لا يسمون بالملك الا من
حرس الدين وقام بحفظ مراتبه واوامره ونواهيه فاما من اعرض عن ذلك فيسمونه متغلبا ولا
يؤهلونه باسم الملك وذلك ان الدين هو وضع الهي يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى
والملك هو حارس هذا الوضع الالهي حافظ على الناس ما اخذوا به وقال حكيم الفرس ملكهم اردشير ان
الدين والملك اخوان توأمان لا يتم واحد منهما الا بالآخر فالدين اس والملك حارس وكل ما لا اس له فمهدوم وكل ما

ما الا حارس له فضائع ولذلك حكمنا على الحارس الذى نصب للدين ان يتيقظ فى موضعه ويحكم صناعته ولا يباشر
امرا ما هو دنيا ولا يشتغل بلذة يخصه ولا يطلب الكرامة والغلبة الا من وجهها فانه متى اغفل شيئا من حدوده دخل عليه
من هناك الخلل والوهن وحينئذ يتبدل اوضاع الدين ويجد الناس الرخصة فى شهواتهم ويكثر من يساعدهم
فينقلب هيئة السعادة الى ضدها ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض فيؤديهم ذلك الى الشتات والفرقة
ويبطل الغرض الشريف وينتقض النظام الذى طلبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فيحتاج حينئذ الى تجديد الامر
والى استيناف التدبير وطلب الامام المحق والملك العادل ونعود الى ذكر اجناس المحبات واسبابها فنقول ان هذه
الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركة بين المتحابين واحد بعينه جاز فى السببين ان ينعقدا معا
وينحلا معا وجاز ايضا ان يبقى احدهما وينحل الاخر مثال ذلك ان اللذة المشتركة بين الرجل والمراة هى سبب المحبة
بينهما فقد يجوز ان يجتمع المحبتان لان السبب واحد وهو اللذة وقد يجوز ان ينقطع احدهما ويبقى الاخر وذلك ان اللذة تتغير
ولا يكاد يثبت كما تقدم وصفها وقد يجوز ان يتغير سبب احد المحبتين ويثبت الاخر وايضا فان بين الرجل وزوجته
خيرات مشتركة ومنافع مختلطة وهما يتعاونان عليها لاجل الخيرات الخارجة عنا وهى الاسباب التى يعمر بها
المنازل فالمراة تنتظر من زوجها تلك الخيرات لانه هو الذى يكتسبها ويحضرها فاما الرجل فانه ينتظر من
زوجته ضبط تلك الخيرات لانها هى التى يحفظها ويدبرها التدبير ولا يضيع فمتى قصر احدهما اختلف المحبة
وحدثت الشكايات ولا يزال كذلك الى ان ينقطع او يبقى مع الشكاية والملامة وكذلك حال المنفعة
المشتركة بين سائر الناس اذا كانت واحدة بعينها فاما المحبات المختلفة التى اسبابها ايضا مختلفة فهى
اولى بسرعة التحلل ومثال ذلك ان يكون محبة احد المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الاخر لاجل اللذة كما يعرض
ذلك فى المتعاشرين على ان احدهما مغن والاخر مستمع فان المغنى منهما يحب المستمع لاجل المنفعة والمستمع منهما يحب
المغنى لاجل اللذة وكما يعرض ايضا فى العاشق والمعشوق اللذين احدهما يلتذ بالنظر والاخر ينتظر
المنفعة وهذا الصنف من المحبة يعرض فيها ابدا التشكى والتظلم وذلك ان طالب اللذة يتعجل
له مطلوبه وطالب المنفعة يتاخر عنه مطلوبه وليس يكاد الامر يعتدل بينهما ولذلك ترى العاشق يشكو
معشوقه ويتظلم منه وهو بالحقيقة ظالم ينبغى ان يشكى لانه يتعجل لذته بالنظر ولا يرى المكافاة بما يستحق

صاحبه والمحبة اللوامة كثيرة الانواع الا ان الاصل فيها ما ذكرت ويوشك ان يكون المحبة بين الرئيس والمرؤس
والغنى والفقير يعرض بها اللوم والتوبيخ لاجل اختلافات الاسباب ولان كل واحد ينتظر من المكافات عند الاخر ما
لا يجده عنده فيقع فساد فى الثبات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات ويزيل ذلك طلب العدالة المبسوطة بينهما والمماليك
خاصة لا يرضيهم من مواليهم الا الزيادة الكثيرة فى الاستحقاق وكذلك الموالى يستبطون العبيد فى الخدمة
والشفقة والنصيحة وفى جميع ذلك يقع اللوم وفساد الضمير فهذه المحبة اللوامة التى لا يكاد يخلو منها الا على
شريطة العدل وطلب الوسط من الاستحقاق والرضا به وهو صعب فاما محبة الاخيار بعضهم بعضا فانها
لا يكون للذة خارجة ولا المنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما وهى قصد الخير والتماس الفضيلة فاذا احب احدهم
الاخر لهذه المناسبة لم يكن بينهم مخالفة ولا منازعة ونصح بعضهم بعضا وتلاقوا بالعدالة والتساوى فى
ارادة الخير وهذا التساوى فى النصيحة وارادة الخير هو الذى يوحد كثرتهم ولهذا حد الصديق بانه اخر هو انت
الا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود ولم يوثق بصداقة الاحداث والعوام ومن ليس بحكيم
لان هؤلاء يحبون ويصادقون لاجل اللذة او المنفعة ولا يعرفون الخير بالحقيقة ولا اغراضهم صحيحة فاما
السلاطين فانهم يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقونهم فليس يدخلون
تحت الحد الذى ذكرناه وفى صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عزيز الوجود عندهم وكذلك
حال محبة الوالد للولد لان انواع هذه المحبة مختلفة واسبابها ايضا مختلفة لما قلنا
الا ان محبة الوالد للولد والولد للوالد فان كان بينهما اختلاف ما من وجه فان بينهما اتفاقا
ذاتيا واعنى بالذاتى ههنا ان الوالد يرى فى ولده انه هو هو وانه نسخ صورته التى يخصه من الانسانية
فى شخص ولده نسخا طبيعيا ونقل ذاته الى ذاته نقلا حقيقيا وحق له ان يرى ذلك لان التدبير
الالهى بالسياقة الطبيعية التى هى سنة الله عز وجل هو الذى عاون الانسان على انشاء الولد وجعله السبب
الثانى فى ايجاده ونقل صورته الانسانية اليه ولذلك يحب الوالد الولد حتى يحب له جميع ما يحبه لنفسه ويسعى
فى تاديبه وتكميله لكل ما فاته فى نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له ولدك افضل منك لانه يرى
انه هو هو كما ان الانسان اذا تزيد فى نفسه حالا فحالا وترقى فى الفضيلة درجة درجة لا يشق عليه ان يقال له

يقال له انك افضل مما كنت بل يسر بذلك كما يسر لنفسه اذا قيل له فى ولده مثل ذلك ثم تفضل ايضا محبة
الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبانه يعرفه منذ اول كونه ويستبشر به وهو جنين ثم تزداد محبته له مع التربية
والنشو ويتأكد سروره به وتأميله له ويحدث له اليقين بانه باق بعده صورة وان فنى بجسمه مادة فان هذه
المعانى الجلية عند اهل العلم تتراءى للعوام كانها من وراء ستر فاما محبة الولد للوالد فانما تنقص عن هذه المرتبة
فان الولد مفعول وبانه لا يعرف ذاته ولا فاعله الا بعد زمان طويل وبعد ان يثبت اياه حسا وينتفع به دهرا ثم يعقل
بعد ذلك امره بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره فى الامور يكون تعظيمه لوالديه ومحبته لهما ولهذه العلة
وصى الله الولد بوالديه ولم يوص الوالد بولده فاما محبة الاخوة بعضهم بعضا فلاجل ان سبب كونهم واحد ولنسبتهم اليه
بعينه ويجب ان يكون نسبة الملك الى رعيته نسبة ابوية ونسبة رعيته اليه نسبة بنوية ونسبة الرعية بعضهم الى
بعض نسبة اخوية حتى تكون الرياسات محفوظة على شرائطها الصحيحة وذلك ان مراعاة الملك لرعيته هى مراعاة
الاب لولده ومعاملتهم اياهم تلك المعاملة وقد كنا اشرنا الى ذلك وسنزيده بيانا اذا صرنا الى ذكر سياسة الملك فى
كتاب اخر وعنايته برعيته تجب ان يكون عناية الاب باولاده شفقة وتحننا وتعطفا وتعهدا اخلافة لصاحب الشريعة
عليه السلام بل لمشرع الشريعة تعالى ذكره فى الرافة والرحمة وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم
وبالجملة فى كلما يجلب الخير ويمنع الشر وانه عند ذلك يحبه رعيته محبة الولد للاب الشفيق ويحدث بينهما تلك النسبة
وانما تختلف هذه المحبات بالتفاضل الذى يكون بعظم المنافع فيجب ان يكرم الاب كرامة ابوية ويكرم السلطان
كرامة سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضا كرامة اخوية ولكل رتبة من هذه المراتب استيهال خاص واستحقاق واجب
له فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها الفساد فانقلبت الرياسات وانعكست الامور فعرض لرياسة الملك
ان ينتقل الى رياسة التغلب ويتبع ذلك ان ينتقل محبة الرعية الى البغض وعرض لرياسة من دونه فيصير محبة الاخيار
الى تباغض الاشرار ويبعث الانفة نفاقا ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له وان اضر بغيره ويبطل الصداقة
والخير المشترك بين الناس ويؤل الامر الى الهرج الذى هو ضد النظام الذى رتبه الله لخلقه ورسمه بالشريعة واوفى
بالحكمة البالغة فاما المحبة التى لا يشوبها الانفعالات ولا يطرأ عليها الآفات وهى محبة العبد لخالقه عز وجل
فانها انما تخلص للعالم الربانى وحده خاصة ولا سبيل لغيره اليها الا بالدعوى الكاذبة وكيف يجد الانسان سبيلا الى

محبة من لا يعرفه ولا يعرف ضروب نعامه الدارة عليه ووجوه احسانه المتصلة به فى نفسه وبدنه اللهم الا ان يصور فى نفسه
صنما ويظنه الخالق تعالى عما يظنه المبطلون فيحبه ويعبده فان اكثر الناس كما قال الله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون ولعمرى انا نرى العامة تدعى المعرفة والمحبة وهو يتصور ان شخصا وشبحا فيكون عبادتهم اياه من دون
الله وهذا هو الضلال البعيد ومدعوا هذه المحبة لله كثير جدا والمحققون منهم قليل جدا بل هم اقل القليل وهذه
المحبة يتصل بها الطاعة والتعظيم ويتلوها ويقرب منها محبة الوالدين واكرامهما وطاعتهما وليس يرتقى الى محبتهما
شئ من المحبات الاخر الا محبة الحكماء عند تلاميذهم فانها متوسطة بين المحبة الاولى اعنى الالهية وبين المحبة
الثانية وذلك ان المحبة الاولى لا يبلغها شئ من المحبات كما ان اسبابها لا يبلغها شئ من الاسباب والنعم
التى تأتى من قبلها لا يشبهها شئ من النعم واما المحبة الثانية فهى تقرب منها لان سببها هو السبب الثانى فى وجود
الحسى اعنى ابداننا وكوننا فاما المحبة الثالثة اعنى محبة الحكماء فهى اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل
ان شرفهم ومرتبتهم يكون من اجل تربيتهم لنفوسنا وهم اسباب وجودنا الحقيقى وبهم وصلنا الى السعادة
التامة فليس يبلغ احد جزاء ولا مكافاة ما يستحقه الاول ولا ما يستاهله الثانى وان اجتهد وبالغ ولا يؤدى
حقوقهما ابدا وان خدم باقصى طاعته وغاية وسعه واما محبة طالب الحكمة للحكيم والتلميذ الصالح للمعلم الخير
فانها من جنس محبة الاولى وفى طريقها وذلك لاجل الخير العظيم الذى يشرف عليه ويصل اليه وللرجاء الكريم
الذى لا يتحقق الا بعنايته ولا يتم الا بمطالعته ولانه والد روحانى ورب بشرى واحسانه احسان الهى وهو الذى
يربيه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة ويسوقه الى الحياة الابدية فى النعيم السرمدى واذا كان هو سبب
فى وجودنا العقلى وهو المربى لنفوسنا الروحانية فبحسب فضل النفس على البدن يجب ان يفضل المنعم بهذا على المنعم
بذاك ويقدر فضلها عليه بفضل التربية على التربية فحق ما يجب لتلميذ معلم الحكمة محبة خالصة شبيهة
بالمحبة الاولى واذا كانت هذه المحبة من جنس تلك المحبة والطاعة له من جنس تلك الطاعة ثم كان سبب
هاتين النعمتين ومعطينا لهما وسائقنا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذى هو سبب الخيرات كلها وجب
ان يكون محبتنا له فى اعلى مراتب المحبات وكذلك طاعتنا له وتمجيدنا اياه ويجب على بلغ هذه المنزلة من
الاخلاق ان يعرف مراتب المحبات وما يستحقه كل واحد من صاحبه حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس لاجنبى ولا كرامة

كرامة الصديق للسلطان ولا كرامة الولد للعشيرة ولا كرامة الام للاب فان لكل واحد من هؤلاء واشباههم صنفا
من الكرامة وحقا من الجزاء ليس للاخر ومتى خلط فيه اضطرب وفسد وتشتت الملامات واذا وفى كل واحد منهم حقه وقسطه
من الخدمة والمحبة والنصيحة كان عادلا واوجبت له محبته وعدالته فيما يجب على صاحبه معاملة وكذلك يجب ان
يجري الامر في مؤانسة الاصحاب والخلطاء والمتعاشرين في توفية حقوقهم واعطائهم ما هو خاص بهم ومن غش المحبة
والصداقة كان اسوء حالا من غش الدرهم والدينار فان الحكيم ذكر ان المحبة المغشوشة تنحل سريعا وتفسد وشيكا
كما ان الدرهم والدينار اذا كانا مغشوشين فسدا وافسدا هذا واجب في جميع انواع المحبات ولذلك يتعاطى العاقل
ابدا نمطا واحدا ويلزم مذهبا واحدا في ارادة الخير ويفعل جميع ما يفعله من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كما يراه عند نفسه
فاما صديقه فقد قلنا انه هو الا انه غيره بالشخص واما سائر مخالطيه ومعارفه فانه يسلك بهم مسلك
اصدقائه وكانه مجتهد في ان يبلغ بهم وفيهم منازل الاصدقاء بالحقيقة وان كان لا يمكن ذلك في جميعهم
فهذه سيرة الرجل الخير في نفسه ورؤسائه واهله وولده وعشيرته واصدقائه وسلطانه فاما الشرير فانه يهرب
من هذه السيرة وينفر منها لرداءة الهيئة التي حصلت له ولحب البطالة والتكاسل عن معرفة الخير والتمييز بينه و
بين الشر مما هو مظنون عنده خيرا وليس غيره من كان على هذه الحال من الشر ورداءة الهيئة كانت
افعاله كلها ردية وذاته ردية ومن كان ذاته ردية هرب من ذاته لان الرداءة مهروب منها واضطر الى
مصاحبة قوم يناسبونه ليفني عمره معهم وليشتغل بهم عن ذاته وما يجده فيها من الاضطراب والقلق وذلك ان
هؤلاء الاشرار اذا خلوا بانفسهم ذكروا افعالهم الردية وهاجت بهم القوى المتضادة التي يدعوهم الى ارتكاب
الشرور المتضادة فيألمون من ذواتهم ويتشاغب نفوسهم انواع الشغب ويجذبهم القوى التي فيهم وهي
التي لم تروضوها بالادب الحقيقي الى جهات مختلفة من اللذات الردية وطلب الكرامات التي
لا يستحقونها والشهوات المردية التي تهلكهم سريعا فاذا جذبتهم هذه القوى الى جهات مختلفة
احدثت فيهم الاما كثيرة لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى ويسخط في حال واحدة
ولا يتركه ان ينجذب الى جهات مختلفة بحركة واحدة ولا يستطيع ان يؤلف بين الاضداد حتى يجتمع له فمن
شقائه يهرب من ذاته لانها ردية فاسدة متالمة لكثرة الشغب عليه ويلتمس لعشرته ومخالطته من

من شكله واستوحش منه فيجد في الوقت لمحبة بسكونه اليه لاجل المشاكلة ثم يعود بعد قليل الى الاعلية مواجهة الى خيال رفضه
فالم به وهرب منه فليس له محب ولا ذاته ولا له نصيح ولا نفسه ولا يحصل الا على الندامة ولا يرجع الا على الشقوة فاما الرجل الخير
الفاضل فان سيرته جميلة محبوبة فهو يحب ذاته وافعاله ويسر بنفسه ويسر به ايضا غيره ويختار كل انسان مواصلته ومصادقته
فهو صديق نفسه والناس جميعا كافة وليس يضاده الا الشرار فقط ويعرض لمن هو بهذه سيرته ان يحسن الى غيره بقصد منه
وبغير قصد وذلك ان افعاله لذيذة محبوبة واللذيذ المحبوب مطلوب مختار ويكثر المتقبلون له والمتحققون بالاخلاق
عنه وهذا هو الاحسان الذاتي الذي يبقى ولا ينقطع ويتزيد على الايام ولا ينتقص فاما الاحسان العرضي الذي
ليس بخلقي ولا هو سيرة لصاحبه فانه ينقطع ويلحق فيه اللوم والمحبة التي يعرض منه يلحق بالمحبات اللوامة ولذلك
يوصي صاحبه بتربيته فيقال له رب الصنيعة اصعب من ابتدائها والمحبة التي تحدث بين المحسن والمحسن اليه
يكون فيها زيادة ونقصان اعني ان محبة المحسن للمحسن اليه اشد من محبة المحسن اليه للمحسن واستدل ارسطاطاليس على ذلك
ان المقرض وصانع المعروف يهتم كل واحد منهم لمن اقرضه واصطنع المعروف عنده ويتعاهدانه ويحبان سلامته
اما المقرض فربما اراد سلامة المقترض لمكان الاخذ لا لمكان المحبة اعني انه يدعو له بالسلامة والبقاء وسعة
النعمة والكفاية من كل وجه ليصل الى حقه واما المقترض فليس يعنى كثير عناية بالمقرض ولا يدعو له بهذه
الدعوات واما مصطنع المعروف فانه بالحق الواجب يحب الذي اصطنع اليه معروفه وان لم ينتظر منه منفعة و
ذلك ان كل صانع فعل جيدا فهو يحب مصنوعه فاذا كان المصنوع مستقيما يحب ان يكون محبوبا في الغاية فقد تبين
ان محبة المحسن اشد من محبة المحسن اليه فاما المحسن اليه فشوقه الى الاحسان اشد من شوق المحسن وايضا فان المحبة المكتسبة بالاحسان
المرباة على طول الزمان يجري مجرى القنيات التي تتعب فيها وما يكتسب منها على سبيل التعب والنصب يكون المحبة له اشد
والضن به اكثر ومن وصل الى المال بغير تعب لم يكترث له ولم يشح عليه وبذله في غير موضعه كما يفعل الوراث ومن يجري
مجراهم فاما من وصل اليه بتعب وسافر في طلبه وسعى في جمعه فانه لا محالة تكون شديد الضن به والمحبة له ولهذه العلة
صارت الام اكثر محبة للولد من الاب وذلك لما يعرض لها من الحمل والولادة اضعاف ما يعرض للاب وبهذا النوع من المحبة يحب الشاعر
شعره ويحبه اكثر من محبة غيره وكل فاعل فعلا يتعب به فهو يحب فعله ذلك وايضا فان المنفعل لا يتعب كتعب الفاعل لان الاخذ
منفعل والمعطي فاعل فمن هذه الوجوه تبين ان مصطنع المعروف يحب من احسن اليه حبا شديدا كالاحسن من اللذات ومن ك

يصطنع المعروف لاجل الخير نفسه ومنهم من يصنعه لاجل الذكر الجميل ومنهم من يصنعه بالحظوظ من البين ان اعلاهم
مرتبة من صنعه لذاته اعنى لذات الخير وصاحب هذه المرتبة لا يعدم الذكر الجميل والثناء الباقي ومحبة من لم يصنع
المعروف عنده وان لم يقصد ذلك بالفعل ولا النية ولما حكمنا فيما تقدم حكما مقبولا لا يرده احد وهو ان
كل انسان يحب وكانت هذه المحبة لا محالة تنقسم بالاقسام الثلثة التى ذكرناها اعنى اللذة والنافع والخير وجب من
ذلك ان يكون من لا يميز بين هذه الاقسام حتى يعرف الافضل والافضل منها لا يدرى كيف يحسن الى نفسه التى
هى محبوبته فيقع فى ضروب من الخطاء لجهله بالخير الحقيقى فلذلك صار بعض الناس يختار لنفسه سيرة اللذة وبعضهم
سيرة الكرامة والنافع لانهم لا يعرفون بما هو افضل منها فاما من عرف سيرة الخير وعلو مرتبته فهو لا محالة يختار لنفسه
افضل السير واكرم الخيرات فلا يوثر اللذة البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه لانها عرضية كلها ومستحيلة ومخلة لكنه يختار
لها اتم الخيرات واعلاها واعظمها وهو الخير الذى لها بالذات اعنى الذى ليس بخارج عنها وهو الذى يناسب الجزء الالهى ومن ساد
بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد احسن اليها واثرها فى الشرف الاعلى واهلها لقبول الفيض الالهى واللذة الحقيقية التى
لا تفارقها ابدا واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات الاخر وينفع غيره ببذل الاموال والسماحة بجميع ما يتنافس
الناس عليه ويحصل صديقه من ذلك بكل ما يضيق عنه ذرع اصحاب غير الباقية فيصير معظما عند كل احد ولا سيما
عند صديقه وايضا فقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدنى بالطبع وشرحنا معنى المدنى فاذن بالواجب يكون تمام
سعادته الانسانية عند اصدقائه ومن كان تمامه عند غيره فمن المحال ان يحصل مع الوحدة وبالتفرد الى سعادته
التامة فالسعيد اذن من اكتسب الاصدقاء واجتهد فى بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لا يقدر ان يكتسبه بذاته
فيلتذ بهم ايام حيوته ويلتذون ايضا به وقد شرحنا حال هذه اللذة وانها باقية الهية غير مخلة ولا متغيرة وهى
فى جملة الناس والجمهور منهم قليل جدا واما اصحاب اللذات البهيمية والنافعة فيها فكثير جدا وقد يكتفى من
هولاء بالقليل كالابازير فى الطعام وكالملح خاصة فاما الصديق الاول الذى وصفناه فلا يمكن ان يكون
كثير العدد ولانه محبوب بالافراط والمحبة لا يصح ولا يتم الا لواحد فاما حسن العشيرة وكون اللقاء والمسعى لكل
واحد بسيرة الصديق الحقيقى فيبذل لاجل طلب الفضيلة ولانا قد قلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل
يستلذ فى عشيرة من له فيه مسالك الصديق وان لم يتم الصداقة الحقيقية فيهم وارسطاطاليس يقول

ان الانسان يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال لحاجته اليه فى كلى الحالتين وذلك انه عند سوء الحال
يحتاج الى المؤانسة والى من يحسن اليه ولعمرى ان الملك العظيم يحتاج الى من يصطنعه ويصنع احسانا عنده كما
ان الفقير من الناس يحتاج الى صديق يصطنعه ويصنع عنده المعروف وطلبه من اجل فضيلة الصداقة لينال الناس
بعضهم بعضا ويتعاشرون عشرة جميلة ويداعب بعضهم بعضا ويجتمعون فى الرياضات والصيد والدعوات
وما سوى الصيد ثم قال بهذه الالفاظ انى لاكثر التعجب ممن يعلم ولادة اخبار الملوك ووقايع بعضهم ببعض وذكر
الحروب والضغاين ومن انقضوا وتوثب على صاحبه ولا يخطر بباله امر المودة واحاديث الالفة وما يحصل من
الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس فانه لن يستطيع احد من الناس ان يعيش بغير المودة وان مالت اليه
الدنيا بجميع رغايبها فان ظن احد ان امر المودة صغير فلصغير من ظن ذلك وان قدر انه موجود فهو بين انما اصعب وما اعسر
وجود صداقة يوثق بها عند البلوى ثم قال لكنى اعتقد واقول ان قدر المودة وخطرها عندى اعظم من جميع ذهب كنوز
قارون ومن ذخائر الملوك قاطبة ومن جميع ما يتنافس فيه اهل الارض من الجواهر وما يحويه الدنيا بر وبحرا ونقليات
فيه من الحرث والبناء وساير الامتعة والاثاث ولا يعدل جميع ذلك ما اخترت لنفسى من فضيلة المودة وذلك
ان جميع ما اصبته لا ينفع صاحبه اذا حلت به لوعة مصيبة فى صديقه ولا يقوم له جميع الارض مقام صديق
يثق به فى مهم ليساعده عليه وسعادة عاجله او اجله يتم له به فطوبى لمن اوتى هذه النعم العظيمة وهو خلو من
السلطان ولعظم طوبى لمن اوتيه فى سلطان وذلك ان من باشر امور الرعية واراد ان يعرف احوالهم وينظر فى
امورهم حق النظر لم يكفيه اذنان وعينان ولا قلب واحد فان وجد اخوانا ذوى ثقة وجد بهم عيونا واذانا وقلوبا
كانها باجمعها له فقرب عليه الطريق واطلع من ادنى امره على اقصاه ورأى الغايب بصورة الشاهد ولن يوجد هذه
الفضيلة الا عند الصديق الصدوق وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق واذ قد من علينا هذه النعم الجليلة
الخطيرة فقد وجب علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها واذا حصلت لنا كيف نحفظها
لئلا يصيبنا فيها ما اصاب الرجل الذى ضرب به المثل حين طلب شيئا فوجدها ثم لم يقنع بها وظن الورم سمنا
فاخذه الشاعر فقال اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم لا سيما وقد علمنا ان لا
بين جميع الحيوانات يتصنع حتى يظهر للناس منه ما لا حقيقة له فيبذل ماله وهو بخيل ليقال هو

مرجواد ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال هو شجاع فاما سائر الحيوان فان اخلاقها ظاهرة
للناس من اول الامر لا يتصنع فيها وكذلك يكون حال من لا يعرف الحشائش والنبات فانها يشتبه في عينه
حتى ربما يتناول منها شيئا وهو يظنه حلوا فاذا طعمه وجده مرا وربما ظنه غذاء فيكون سما فينبغي ان يحذر ركوب
الخطر في تحصيل هذه النعمة الجليلة حتى لا يقع مودة المخادعين الذين يتصورون لنا بصورة الفضلاء الاخيار
فاذا حصلوا في شباكهم افترسونا كما يفترس السباع اكيلتها والطريق الى السلامة من هذا الخطر بحسب ما
اخذنا عن سقراطيس اذا اردنا ان نستفيد صديقا ان نسئل عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته
وعشيرته فان كان صالحا معهم فارج الصلاح منه والا فابعد منه واياك واياه قال ثم اعرف بعد ذلك سيرته
مع اصدقائه قبلك واضفها الى سيرته مع اخوته وآبائه ثم تتبع امره في شكره من يجب عليه شكره او كفره
النعمة ولست اعني بالشكر المكافاة التي ربما عجز عنها بالفعل ولكن ربما اعطل نيته في الشكر ولا يكافئ بما
يستطيع بما يقدر عليه ثم يتم الجميل الذي يسدي اليه ويراه حقا له او يتكاسل عن شكره باللسان وليس احد
يتعذر عليه ذكر النعم التي تولاها والثناء على صاحبه والاعتداد له بها فليس شئ اشد اجتياحا للنعمة من الكفر
وحسبك ما اعده الله للكافر نعمته من النقم مع تعاليه عن الاستضرار بالكفر ولا شئ اجلب للنعمة ولا اشد تثبيتا
لها من الشكر وحسبك ما وعد الله الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فيعرف من هذا الخلق من يريد مواخاته واحذر ان
يبتلي بالكفر للنعم المستحقر لايادي الاخوان واحسان السلطان ثم انظر ميله الى الراحات وتباطيه عن الحركات
التي فيها ادنى نصب فان هذا خلق ردي يتبعه الميل الى اللذات فيكون شبيها بالتقاعد عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر
نظرا ثانيا في محبته للذهب والفضة واستهتاره بجمعها وحرصه عليهما فان كثيرا من المتعاشرين يتظاهرون
بالمحبة ويتهادون ويتناصحون فاذا وقعت بينهم معاملة في هذين الجوهرين هر بعضهم على بعض هرير الكلاب و
خرجوا الى ضروب العداوات ثم انظر في محبته للرياسة والتفريط فان من احب الغلبة والتراس وان يفرط ولا
ينصفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحمله الخيلاء والتثبيت على الاستهانة باصدقائه و
طلب الترفع عليهم وليس يتم مع ذلك مودة ولا خلطة ولا بد من ان يزول الحال معهم الى العداوات والاحقاد والاضغان
الكثيرة ثم انظر هل هو ممن يستهتر بالغناء والملاهي وضروب اللهو واللعب وسماع المجون والمضاحكات فان ذلك

فما اشغله عن مساعدات اخوانه ومواساتهم وما اشده عن مكافاة باحسان واحتمال النصب ودخول تحت تحميل فيه
مشقة وان كان بريا من هذه الخلال فليحتفظ وليرغب وليكلف بوجدانه وجد فان الكمال عزيز وايضا فان من كثرة
اصدقاؤه ثم لم يف بحقوقهم واضطر الى الاغضاء عن بعض ما يجب عليه الى التقصير في بعض وربما ترادفت عليه احوال
متضادة اعني ان تدعوه مساعدة صديق ان يسر بسروره ومساعدة آخر ان يغتم بغمه وان يسعى بسعي واحد ويقعد
بقعود آخر مع احوال تشبه هذه كثيرة مختلفة ولا ينبغي ان يهملك ما خصصتك عليه من طلب الفضائل فيجوز
تصادقه على تتبع صغار عيوبه فيصير من ذلك الى ان لا يسلم لك احد فتبقى خلوا من الصديق بل ان تغضي عن
المعايب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها البشر وتنظر ما تجده في نفسك من عيب فتحتمل مثله من غيرك واحذر
عداوة من صادقته او خالطته مخالطة الصديق واسمع قول الشاعر ~ عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب + فان الداء اكثر ما تراه + يكون من الطعام او الشراب + فلذلك يجب عليك
متى حصل لك صديق ان تكثر مراعاته وتبالغ في تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له
او حادث يحدث به فاما في اوقات الرخاء فينبغي ان تلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وان تظهر
له في عينك وحركتك وبشاشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك ما يزداد به في كل يوم وكل حال
ثقة بك وسكونا الى عشرتك وترى السرور في جميع اعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لقيك فان الفرح
الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل امر غير مشكل ثم ينبغي ان تفعل مثل ذلك بمن يعلم انه
يؤثره ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية وتثني عليهم من غير اسراف يخرجك الى الملق الذي
يمقتك عليه ويظهر له منك تكلف فيه فانما يتم لك ذلك اذا توخيت الصديق في كل ما يثني عليه والزم هذه
الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة
التامة ويفيدك محبة الغرباء ومن لا معرفة له بك كما ان الحمام اذا الفته وانس بها استتبعت وطافت باجلت
اشكاله وامثاله وكذلك حال الانسان اذا عرفنا وخالطنا اختلاط الرغب الانس بنا بل يزيد على الحيوان غير
الناطق بحسن الوصف وجميل الثناء ونشر المحاسن واعلم ان مشاركة الصديق في السراء اذا كنت فيها وان كانت رتبتها
عليك حتى لا يستاثر ولا يختص بشيء منها فان مشاركته في الضراء اذا لحقته وجب وسعي تحملها عنده اعظم خطرا عند الحر

ذلك ان اصابته نكبة او لحقته مصيبة او غيرته الدهر كيف يكون مواساتك له بنفسك ومالك وكيف تظهر
له تفقدك ومراعاتك ولا تنتظرن به ان يسالك صريحا او تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه وشاركه
في مضض ما لحقه ليخف عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فغمس اخوانك فيهما من غير امتنان ولا
تطاول وان رايت من بعضهم تنوا عنك او تقصانا مما عهدته فداخله زيادة مداخلة واختلط به واجذبه
اليك فانك ان اغفلت من ذلك او داخلك شي من الكبر والصلف عليهم انتقض حبل المودة وانتكثت قوته ومعداتك
فلست تامن من ان يزول عنك فتستحيي منه وتضطر الى قطيعتهم حتى لا تنظر اليهم ثم حافظ على هذه الشرائط
بالمداومة عليها لتبقى المودة على حالة واحدة وليس هذا الشرط خاصا بالمودة بل هو مطرد في كل ما يحصل
اعني ان مركوبك وملبوسك ومنزلك متى لم تراعها مراعاة متصلة فسدت وانتقضت فاذا كان صورة
حائطك وسطوحك كذلك ومتى غفلت وتوانيت لم تامن نقوضه وتهدمه فكيف ترى ان تحفظ من يرجع
في كل خير وينتظر مشاركته في السراء والضراء ومع ذلك كان ضرر تلك تختص بمنفعة واحدة فاما صديقك
فوجوه الضرر الذي يدخل عليك بجفائه وانتقاص مودته كثيرة عظيمة وذلك انه ينقلب عدوا ويتحول نفعه
مضارا فلا تامن غوائله وعداوته مع عدمك الرغائب والمنافع به وينقطع رجاؤك فيما لا تجد له خلفا و
لا تستفيد منه عوضا ولا تسد مسده شي واذا راعيت شروطه وحفظت حقوقه ولزمتها بالمداومة امنت جميع ذلك
ثم احذر المراء معه خاصة وان كان واجبا ان تحذره مع كل واحد فان مماراة الصديق تقلع المودة من اصلها
لانها سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي هربنا منه الى ضده وتجشمنا اثره واخترنا عليه الالفة
التي طلبناها واثبتنا عليها وقلنا ان الله عز وجل دعا اليها بالشريعة القويمة واني لاعرف من يوثر المراء
ويزعم انه يقدح خاطره ويشحذ ذهنه وينفي شكوكه فهو يتعمل في المحافل التي تجمع رؤساء اهل النظر ومتعاطي العلوم
مماراة صديقه ويخرج في كلامه معه الى الفاظ جهال العامة وسقاطهم ليزيد في خجلة صديقه وليظهر
انقطاعه وبلادته وليس يفعل ذلك به عند خلوته ومذاكرته له وانما يفعله حيث يظن انه ادق نظرا واحضر حجة واغزر
علما واحد قريحة وما اشبهه الا باهل البغي وجبابرة اصحاب الاموال والمتشبهين بهم من اهل البذخ فان هؤلاء
يستحقر بعضهم بعضا ولا يزال يصغر صاحبه ويزري على مروته ويطلب عيوبه ويتتبع عثراته ويبالغ

كل واحد فيما يقدر عليه من مساءة صاحبه حتى يتادى بهم الحال الى العداوة التامة التى تكون معها السعاية وازالة النعمة
ويجاوزن ذلك الى سفك الدم وانواع الشرور فكيف يثبت مع المرء محبة او يرجى الفه ثم احذر فى صديقك ان
كنت محققا بالعلم ومتحليا بادب ان يبخل عليه بذلك الفن ويرى فيك انك يحب الاستبداد دونه والاستيثار
عليه فان اهل العلم لايرى بعضهم فى بعض ماراه اهل الدنيا بينهم وذلك ان متاع الدنيا قليل واذا تزاحم عليه
قوم تلم لبعضهم حال ونقص حظ كل واحد فنقص حظ الاخر فاما العلم فانه بالضد وليس ينقص احدا ما ياخذه غيره منه بل
تركوا على النفقة ويتزامع الصدقة ويزيد على الانفاق وكثرة فاذا بخل صاحب علم بعلمه فانما ذلك الاحوال فيه كلها
قبيحة وهى انه اما ان يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان يفنى ما عنده او يرد عليه ما لا يعرفه فيزول شوقه
عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به فهو يخشى ان يضيق مكسبه بنقص حظه منه واما ان يكون حسودا فالحسود
بعيد من كل فضيلة لايود احدا ولايوده احد وانى لاعرف من لايرضى بان يبخل بعلم نفسه حتى يبخل بعلم غيره ويكثر
عتبه وسخطه على من يفيد غيره من التلامذة المستحقين لفائدة العلم وما الترما يتوصل الى اخذ الكتب المولفة
من اصحابها بينهم مثلا وهذه خلق لايبقى بعده مودة بل يكسب صاحبه عداوت لايحبسها ويحسم الطماع
صاحبه من صداقته ثم احذر ان ينبسط اصحابك ومن يخلو بك من ايقاعك ويحتمل احدا منهم على ذكر شئ من
اسبا صديقك بغير الجميل فضلا عن ذكره فى نفسه ولا يرخص فى غيبه شئ يتصل به فضلا عن عيبه ولا يطمعن فى
ذلك احد من اسبابك والمتصلين بك جدا ولاهزلا وكيف يحتمل ذلك فيه وانت عينه وقلبه وخليقته على
الناس بل انت هو ومونه ان بلغه شئ مما حدثك منه لم يشك ان ذلك كان عن رايك وهواك فانقلب
عدوا ونفر عنك نفور الصيد فان عرفت منه انت عيبا فوافقه عليه موافقة لطيفة ليس فيها غلظة فان
الطبيب الرفيق ربما بلغ بالدواء اللطيف ما يبلغه غيره بالشق والقطع والكى بل ربما بالغذاء الى الشفاء و
اكتفى به عن المعالجة بالدواء ولست احب ان تغضى عما تعرفه فى صديقك وان تترك موافقته عليه وليس من حق الصداقة
ان يغر ويبذل لعيوب الاضداد حتى يعيبوه ويثلبوه ثم احذر النميمة وسماعها وذلك ان الاشرار يدخلون بين الاحباب
فى صورة النصحاء فيوهمونهم النصيحة وينقلون اليهم فى عرض الاحاديث اللذيذة اخبار اصدقائهم محرفة
مموهة حتى اذا تجاسروا عليهم بالحديث المختلف صرحوا لهم بما يفسد مودتهم ويشوه وجوه صداقتهم الى

[illegible]

الى ان يبغض بعضهم بعضاً وللقدماء فى هذا المعنى كتب مولفة مفردة يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صورة النمام بمن يحك
بالظافير اصول البنيان القوية حتى يؤثر فيها اثرا لا يزال يزيد ويمعن حتى يدخل فيه المعول فيقلعه من اصله ويضربون
له الامثال الكثيرة الشبيهة بحديث الثور مع الاسد فى كليلة ودمنه ونحن نكتفى بهذا القدر من الايماء لئلا يخرج
عن رسم كتابنا وعما بينا عليه مذهبنا من الايجاز مع الشرح ولستا نترك مع الايجاز والاختصار تعظيم هذا
الباب وتكريره عليك لتعلم ان القدماء انما الفوا فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايا
لما راوه من النفع العظيم عند السامعين له من الاخبار ولما خافوه من الضرر الكثير على من يستهين به من الاعمام
وليعلم ان المثل المضروب فى السباع القوية اذا دخل بينها الثعلب الخداع على ضعفه فاهلكها ودمر عليها فى
الملوك الحصفاء يدخل بينهم اهل النميمة على صورة المتنصحين حتى يفسد وانياتهم على وزرائهم المبالغين فى
نصيحتهم المجتهدين فى تثبيت ملكهم الى ان يتغيظوا عليهم ويصرفوا عيونهم عنهم ويصيروا من بعد محبتهم ايثارهم
اياهم على اولادهم الى ان يملوا عيونهم منهم والى ان يبطشوا بهم قتلا وتعذيبا وهم غير مذنبين ولا مجترمين ولا
مستحقين الا الكرامة والاحسان اذا بلغ من الاضرار والافساد ما بلغه من هولاء فكم بالحرى ان يبلغ منا اذا لم نحذره
فى اصدقائنا الذين اختبرناهم على الايام وادخرناهم للشدائد واحللناهم محل ارواحنا ونودناهم تفضيلاً
واكراماً وتبين لك من جميع ما قدمناه ان الصداقة واصناف المحبات التى يتم بها سعادة الانسان من
حيث هو مدنى بالطبع انما اختلفت ودخل فيها ضروب الفساد وزال عنها معنى التاحد وعرض لها الانتشار
حتى احتجنا الى حفظها والتعب الكثير بنظمها لاجل النقصانات الكثيرة التى فينا وحاجتنا الى تمامها مع الحوادث
التى يعرض لنا من الكون والفساد فان الفضايل الخلقية انما وضعت من اجل المعاملات والمباشرات
التى لا يتم الوجود الانسانى الا بها وذلك ان العدل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليزول به معنى الجور
الذى هو رذيله عن المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة لاجل اللذات الردية التى يجنى الجنايات العظيمة
على النفس والبدن وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من اجل الامور الهايلة التى يجب ان يقدم الانسان
عليها فى بعض الاوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التى وصفناها وخصصنا على
اقتنائها وايضاً فان جميع هذه الفضايل يحتاج الى اسباب خارجة عنا والى افعال كثيرة الفنون اعنى ان

الحر يحتاج الى اسباب من الاموال والى اكتسابها من وجوهها ليمكنه ان يفعل بها فعل الاحرار والعادل يحتاج
الى مثل ذلك ليجازى من عاشره بجميلة ويكافى من عامله باحسان وجميعها لا يقوم الا بالابدان ولا تنفك عما
هو خارج عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات اكثر والحاجة فيها الى المواد الخارجة
عنا اكثر فهذه حال السعادة الانسانية التي لا تتم الا بالافعال البدنية والاحوال المدنية وبالاعوان الصالحين
والاصدقاء المخلصين وهي كما ترى كثيرة والتعب فيها عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة بحسبها
به ولذلك صار الكسل ومحبة الراحة من اعظم الرذائل لانهما يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات والفضائل
ويسلخان الانسان من الانسانية ولذلك ذممنا المتوسمين بالزهد اذا تفردوا عن الناس وسكنوا الجبال
والمغارات واختاروا التوحش الذى هو ضد التمدن لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التي
عددناها كلها وكيف يعف ويعدل ويسخو ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضائل الخلقية
وهل هو الا بمنزلة الجماد والميت واما محبة الحكمة والانصراف الى التصور العقلي واستعمال الاراء الالهية
فانه خاص بالجزء الالهى من الانسان وليس يعرض شئ من الآفات التي تعرض للمحبات الخلقية ولا يلحقها ضرب
من الفساد ولذلك قلنا انها لا تقبل النميمة ولا نوعا من انواع الشرور لانها الخير الاول المحض وسبيل ذلك الخير الاول
الذي لا يشوبه مادة ولا يلحقه الشرور التي في المواد وما دام الانسان يستعمل الاخلاق والفضائل الانسانية فانها
يعوقه عن هذا الخير الاول وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يتم له هذا الا بتلك ومن حصل تلك الفضائل في
نفسه ثم اشتغل عنها بالفضائل الالهية فقد اشتغل بذاته حقا ونجا من مجاهدات الطبيعة والامهاد من
مجاهدات النفس قواها وصار مع الارواح الطيبة واختلط بالملائكة المقربين فاذا انتقل من وجوده
الاول الى وجوده الثاني حصل في النعيم الابدى والسرور الالهى السرمدى وقد اطلق ارسطاطاليس جميع
هذه الالفاظ وقال ان السعادة التامة الخالصة هى لله عز وجل ثم للملائكة والمتالهين قال ولا ينبغى ان
يضيف الى الملائكة تلك الفضائل التي عددناها في سعادات الانسان فانهم لا يتعاملون ولا يكون عند احد منهم
وديعة فيحتاج الى ردها ولا لاحد منهم تجارة فيحتاج الى العدالة ولا يفزع من شئ فيحتاج الى النجدة ولا لهم نفقات فيحتاج
الى الذهب والفضة ولا لهم شهوات فيحتاج الى ضبط النفس والى فضيلة العفة ولا هو مركب من الاسطقسات

الاسطقسات الاربعة التي تخل من اضدادها محتاج الى العدالة فاذن هؤلاء الابرار المطهرون من خلق الله عز وجل
غير محتاجين الى الفضائل الانسية والله تقدس تعالى اجل واعلى من ملائكته فيجب ان ننزهه عن جميع
ما ذكرناه من فضائل الانسان وانما نذكره بالخير البسيط الذي يشبهه وينسب اليه الامور العقلية التي تليق
به فبالحق الواجب الذي لا مرية فيه لا يحبه الا السعيد الخير من الناس الذي يعرف السعادة والخير بالحقيقة
فلذلك يتقرب اليه بهما جهده ويطلب مرضاته بقدر طاقته ويتقبل افعاله بحسب استطاعته ومن احب الله تعالى
هذه المحبة وتقرب اليه هذا التقرب واطاعه هذه الطاعة احبه الله وقربه وارتضاه واستخلصه خلته التي اطلقتها الشريعة
في البشر حتى قيل ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله صلى الله عليهما وسلم فاما ارسطاطاليس فانه اطلق بعد
ذلك ما لعله غير مطلق في لغتنا وذلك انه قال من احبه الله تعالى تعاهده كما يتعاهد الاصدقاء بعضهم
بعضا واحسن اليهم ولذلك نظن بالحكيم وضروب الفرح العجيبة ونرى من تحقق بالحكمة انها يلزمها غاية الالتذاذ
ولا يلتفت الى غيرها ولا يعرج على سواها واذا كان الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التام السعادة والحكمة
هو الله عز وجل وليس يحب الا السعيد الحكيم بالحقيقة لان الشبيه انما يسر بشبيهه فقط ولذلك صارت هذه السعادة
ارفع واعلى من تلك السعادة التي ذكرناها وهي غير منسوبة الى الانسان لانها مهذبة من الحيوة الطبيعية مبرأة
من القوى النفسانية مباينة لجميعها غاية المباينة وانما هي موهبة الهية يهبها لمن اصطفاه من عباده ولمن
التمسها منه وسعى لها سعيها ورغب فيها ولزمها مدة حيوته واحتمل المشقة والتعب فان من يصبر على ادامة التعب اشتاق
الى اللعب وذلك ان اللعب يشبه الراحة والراحة ليست من تمام السعادة ولا من اسبابها وانما يميل الى الراحات
البدنية من كان طبيعي الشكل بهيمي الجاد كالعبيد والصبيان والبهائم وليس احد ينسب الحيوان غير الناطق ولا
الصبيان والعبيد الى السعادة الا من كان مناسبا لهم واما العاقل الفاضل فانه يطلب بهمته اعلى المراتب وارسطو
يقول انه ينبغي ان يكون همم الانسان انسية وان كان انسانا ولا يرضى بهمم الحيوان الميت وان كان هو ايضا ميتا
بل يقصد بجميع قواه ان يحيى حيوة الالهية فان الانسان وان كان صغير الجثة فانه عظيم بالحكمة شريف بالعقل و
العقل يفوق جميع الخلائق لانه الجوهر الرئيس المستولي على هذا الكل بامر مبدعه تعالى جده وقد قلنا فيما تقدم ان الانسان
ما دام في هذا العالم محتاج الى حسن الحال الخارجة عنه ولكن لا ينبغي ان يصرف الى طلب تلك بقوته كلها ولا

ليطلب الاستكثار منه فقد يصل الى الفضيلة من ليس بكثير المال ولا ظاهر اليسار فان الفقير من المال والاملاك قد يفعل افعال
الكريمة ولذلك قال الحكماء ان السعداء هم الذين رزقوا القصد من الخيرات الخارجة عنهم وفعلوا الافعال التي
تقتضيها الفضيلة وكانت قيلتهم قليلة فهذا كلام الحكيم في هذه المرتبة التي وصلنا الكلام فيها وهو يقول بعد ذلك
لا يغني معرفة الفضائل كفاية بل الكفاية في العمل بها واستعمالها ومن الناس من ينهض الى الفضائل وينبعث
للموعظة ويرغب في الخير هولاء قليلون وهم الذين ينتفعون بجميع الرذائل والشرور وذلك للغريزة
الجيدة والطبع الفائق ومنهم من ينقاد الى الخيرات حتى يمتنع من الرذائل والشرور بالفزع والوعيد والانذارات
من العذاب فيتهرب من الجحيم والهاوية وما اعد فيهما من الالام ولذلك علمنا ان بعض الناس اخيار
بالطبع وبعضهم اخيار بالشرع وبالتعليم الشريعة يجري لهولاء مجرى الماء للغصان الذي يسيغ به غصة
فمن لا ينقاد لما قوى كالشرق بالماء لا يوجد له ما يسيغ به غصة وهو الهالك الذي لا حيلة فيه ولا طمع
في اصلاحه وبرئه ولهذه العلة قلنا ان من كان بالطبع خيرا فاضلا فذلك لمحبة الله تعالى اياه وليس
امره الينا ولا نحن كاسبيه بل الله عز وجل ومثل هذا هو الذي يقول ارسطو ان عناية الله به اكثر فحصل
مما قدمنا ان اصناف السعداء من الناس اربعة وهم موجودون بالتصفح والحس وذلك انا نجد من الناس
من هو خير فاضل من مبدأ كونه نرى فيه النجابة طفلا نتفرس فيه الفلاحة ناشيا بان يكون حييا كريم الخيم يؤثر
مجالسة الاخيار ومؤانسة الفضلاء وينفر من اضدادهم وليس يكون كذلك الا بعناية يلحقه من اول مولده
كما قلنا ونجد ايضا من لا يكون بهذه الصفة من مبدأ كونه بل يكون كسائر الصبيان الا انه يسعى ويجتهد في طلب
الحق اذا راى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى يبلغ مرتبة الحكماء اعني ان يصير علمه صحيحا وعمله صوابا
وليس يبلغ هذه الدرجة الا بالتفلسف واطراح الغضبيات وسائر ما ذكرناه ونجد ايضا من يوخذ بهذه السيرة
اخذا على اكراه اما بالتاديب الشرعي واما بالتعليم الحكمي ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثاني اذ كانت الاقسام
الباقية هي من خارج ولا يمكن ان يطلب اعني من يتفق له في اصل مولده السعادة ومن يكره عليها ليس من اقسام
الطالب المجتهد وتبين ايضا مقام المجتهد ومنزلته من السعادة التامة الحقيقية وانه وحده من بين سائر الطبقات
هو السعيد الكامل المتقرب الى الله عز وجل المحب المطيع المستحق خلته ومحبته كما تقدم وصفه تمت المقالة

المقالة الخامسة نذكره فى هذه المقالة بعون الله وتأييده شفاء الامراض التى تلحق نفس الانسان
وعلاجاتها ونذكر الاسباب والعلل التى تولدها وتحدث منها فان الحذاق لا يقدمون على علاج مرض جسمانى الا
بعد ان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرومون معاملته باضداده من العلاجات ويبتدءون من الحمية
والادوية اللطيفة الى ان ينتهوا فى بعضها الى استعمال الاغذية الكريهة والادوية البشعة وفى بعضها
الى القطع بالحديد والكى بالنار ولما كانت النفس قوية الهيئة غير جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة لمزاج
خاص مربوطة به ربطا طبيعيا الهيا لا يعارف احدهما صاحبه الا بمشية الله الخالق جل وعلى وجب ان يعلم
ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيصح بصحته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا بما نظهر
لنا من افعالهما وذلك انا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما ان كان سبب مرضه احد الجزئين الشريفين اعنى
الدماغ والقلب يتغير عقله ويمرض نفسه حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وساير قوى نفسه الشريفة وحين
هو ايضا من نفسه بذلك كذلك ايضا نرى المريض من جهة نفسه

اما بالغضب واما بالحزن واما بالعشق واما بالشهوات الهايجة فانه يتغير صورته وبدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر و
يحمر ويهزل ويسمن بحسب الاعراض المتغايرة المشاهدة بالحس فيجب لذلك ان ينعقد مبدا امراض نفوسنا فان كان مبداها
من ذاتها كالفكر في الاشياء الردية واجالة الراي فيها او كاستشعار الحزن والخوف من الامور العارضة او المترقبة او
الشهوات الهايجة قصدنا علاجها بما يخصها وان كان مبداها من المزاج او من الحواس كالحزن الذي مبدؤه
ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالعشق الذي مبدؤه البطر مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضا علاجها
بما يخص هذه ولما كان طب الابدان ينقسم بالقسمة الاولى قسمين احدهما حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والآخر
ردها اليها اذا كانت غايبة وجب ان يقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها ونتقدم في حفظ صحتها اذا كانت
حاضرة فنقول اذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب نيل الفضايل وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية
والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يانس بغيرهم ولا يجالس سواهم
ويحذر كل الحذر من معاشرة اهل الشر والنقص من المجان والمجاهدين باصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش
والمتفخرين بها المتهتكين فيها ولا يصغي الى اخبارهم مستطيبا ولا الى اشعارهم مستحسنا ولا يحضر مجالسهم مبتهجا وذلك ان
حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم ورواية بيت واحد من اشعارهم يعلق من وضره ودرنه بالنفس
ما لا ينغسل عنها الا بالزمان الطويل والعلاجات الصعبة وربما كان سببا لفساد الفاضل المحنك وغواية العالم
المستبصر حتى يصير فتنته لهما فضلا عن الحدث الناشي والمتعلم المسترشد والعلة في ذلك ان محبة اللذات البدنية
والراحات الجسمية طبيعة للانسان لاجل النقصانات التي فيه فنحن بالجبلة الاولى والفطرة السابقة نميل
اليها ونحرص عليها وانما نزم انفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عندما يرسم لنا ونقتصر على
المقدار الضروري منها وانما استثنيت في اول الكلام ما استثنيت وشرطت ما شرطت لان
...... معاشرة الاصدقاء الذين ذكرت احوالهم في المقالة المتقدمة وحكمت بتمام السعادة معهم
وبهم لا يتم الا بالمؤانسة والمداخلة ولابد في ذلك من المزاح المستعذب والحديث المستطرف
والفكاهة المحبوبة واصابة اللذة التي يطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى الاسراف فيها
ولا تقصر عنها تقصيرا نابيا وذلك ان الخروج الى احد الطرفين ان كان الى جانب الزيادة سمي مجونا وفسقا وخلاعة

خلاعة وما أشبهها من أسماء الذم وان كان الى جانب النقصان سمى فدامة وعيا وبكامة وما أشبهها من أسماء
الذم أيضا والمتوسطة بينهما هو الظريف الذي يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة في حفظ
هذا الوسط ما عرض في سائر الفضائل الخلقية وفيما يوجد به من يحفظ صحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجزء
النظري والجزء العملي لا يسوغ له الاخلال بها البتة ليجري للنفس مجرى الرياضة التي يلتزم في حفظ البدن فان
الاطباء يعظمون امر الرياضة في حفظ صحة البدن وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص
على المعاني تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا الفت الكسل وتبرمت الروية واختارت العطلة
قرب هلاكها لان في عطلتها هذه انسلاخا من صورتها الخاصة بها ورجوعا منها الى رتبة البهائم وهذا هو
الانتكاس في الخلق نعوذ بالله منه واذا تعود الحدث الناشي من مبدأ كونه الارتياض بالامور الفكرية ولازم
التعاليم الاربعة الف الصدق واحتمل ثقل الروية والنظر وانس بالحق ونبا قلبه عن الباطل وسمعه عن الكذب فاذا بلغ
اشده انتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها واشرب ما يستودع منها ولم يرد عليه امر غريب ولا يحتاج الى كثير تعب في
فهم غوامضها واستخراج دفائنها ووصل الى سعادته التي ذكرناها سريعا وان كان حافظ هذه الصحة قد تقدم
في العلم وبرع فلا يحملنه العجب بما عنده من ترك الازدياد فان العلم لا نهاية له وفوق كل ذي علم عليم ولا يتكاسلن
في معاودة ما علمه واتقنه على سبيل الدرس له فان النسيان آفة العلم وليتذكر قول الحسن البصري اقدعوا هذه
النفوس فانها طلعة وحادثوها فانها سريعة الدثور اعلم ان هذه الكلمات مع قلة حروفها كثيرة العنا وهي مع ذلك فصيحة
قد استوفت شرط البلاغة وليعلم ايضا حافظ هذه الصحة على نفسه انه انما يحفظ عليها نعماء شريفة موهوبة
لها وكنوزا عظيمة مذخورة فيها وملابس فاخرة مفرغة عليها وان كانت من كانت هذه المواهب الجليلة موجودة له
في ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا بذل الاموال فيها للغير ولا يتكلف العنا والمؤن الثقال في تحصيلها
ثم اعرض عنها واهمل امرها حتى ينسلخ عنها ويعرى منها الملوم في فعله مغبون في رأيه غير رشيد ولا موفق ولا سيما و
هو يرى طالبي النعم الخارجة كيف يجشمون الاسفار البعيدة الخطيرة ويقطعون السبل المخوفة الوعرة ويتعرضون
لضروب المكاره وانواع التلف من السباع العادية وطبقات الاشرار الباغية وهم يجثون في كثير
الاحوال مع مقاساة هذه الاهوال وربما عرضت لهم الندامات المفظعة والحسرات المعطبة التي

يقطع انفاسهم وتفصل اعضاءهم وان ظفر بالشئ من مطالبهم كان لا محالة زائلا عن قريب ومعرضا للزوال وغير مطموع
فى بقائه لانه من خارج وما كان خارجا عنا فهو غير ممتنع مما يلحق من الحوادث التى لا تحصى كثرة وصاحبه مع هذه الحال
شديد الوجل دائم الاشفاق متعوب الجسم والنفس بحفظ ما لا يجد الى حفظه سبيلا وبالحذر على ما لا يغنى فيه الحذر فتيلا
وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطانا او صاحب سلطان تضاعفت عليه هذه المكاره اضعافا كثيرة
بقدر ما يلابسه وبحسب ما يقاسيه من الاضداد والحساد على البعد ومن القرب وبكثرة ما يحتاج اليه من المؤن وفى استصلاح من
يليه ويلى من يليه ومداراة من يوالیه ويعاديه وهو فى كل ذلك ملوم ومستبطأ ومعيب ومقصر يستزيده جميع اهله والمتصلين
به ولا سبيل له الى رضا واحد منهم فضلا عن جميعهم ولا يزال يبلغه عن اخص الناس من اولاده وحرمه ومن يجرى مجراهم
من حاشيته وخوله ما يملأ غيظا وحنقا فهو غير امن على نفسه من تحمیهم مع التحاسد الذى بينهم من مكاتبة الاعداء
اياهم ومواطاة الحساد لهم وجلبها لهم من المكاره ما لم يكن عنده فهو غنى عند الناس وهو اشدهم فقرا وحسرة وهو اكثرهم حسدا
وكيف لا يكون فقيرا وحد الفقير هو كثرة الحاجة فاكثر الناس حاجة اشدهم فقرا كما ان اغنى الناس اقلهم حاجة
ولذلك حكمنا حكما صادقا ان الله تعالى جده اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شئ من الاشياء وحكمنا
ايضا ان اعظم الملوك منا اشد الناس فقرا لكثرة حاجته الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر حيث قال فى خطبته
اشقى الناس فى الدنيا والاخرة الملوك ثم وصفهم فقال ان الملك اذا ملك زهده الله فيما فى يده ورغبه فيما
فى يد غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير ويسأم الرخاء وينقطع عنه
لذة البهاء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسى والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا
وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله فاشتد حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم المرحومون فهذه صفة
الملك اذا تمكن من ملكه لا يغادر منه شيئا ولقد سمعت اعظم من شاهدت من الملوك يستعيد هذا الكلام ثم
يستعيد الموافقة ما فى قلبه وصدقه عن حاله وصوبه ولعل من يرى ظاهر الملوك من الاسرة والفرش والزينة والالات
ويشاهدهم فى مواكبهم محفوفين محشودين بين ايديهم الجنائب والمراكب والعبيد والخدم والحجاب والحشم يرى صورة ذلك
فيظن انهم مسرورون بما يراه لهم كلا والذى خلقهم وكفانا امرهم انهم لفى هذه الاحوال ذاهلون عما يراه البعيد لهم مشغولون
بالافكار التى تعتريهم ويعتريهم فيما حكيناه من ضروبها تهم وقد جربنا ذلك فى اليسير مما ملكنا فدلنا على

على الكثير مما وصفناه ولعل بعض من يصل الى الملك والسلطان يلتذ في مبدا امره مدة يسيرة جدا بقدر ما يتمكن منه
ويفتح عينه ولكنه بعد ذلك يصير جميع ما ملكه كالشيء الطبيعي له لا يلتذه ولا يفكر فيه ويمد عينه الى ما لم يملكه فلو ملك
الدنيا بجذافيرها لتمنى دنيا اخرى او ترقب همته الى البقاء الابدي والملك الحقيقي حتى يتبرم بجميع ما وصل اليه
وبلغته قدرته وذلك ان حفظ الدنيا اصعب جدا لما في طبيعتها من الاختلال والتلاشي ولما يضطر الملك
اليه من الامور التي وصفناها والاموال الجمة المصروفة الى الجند المرتبطين والخدم المتوفقين والكنوز المعدة للآفات
والاحداث التي لا يؤمن طروقها فهذه حال طلاب النعم الخارجة عنا فاما النعمة التي هي في ذواتنا فانها موجودة
عندنا وفينا وغير مفارقة لنا لانها موهبة الخالق عز وجل وقد امرنا باستثمارها والترقي فيها فاذا امتثلنا امره
اثمرت لنا نعما بعد نعم ورقتنا في درجة فوق درجة حتى يؤدينا الى النعيم الابدي الذي وصفناه فيما تقدم
وهو الملك الحقيقي الذي لا يزول والغبطة الابدية الصافية التي لا تحول فمن احسن ضعفا واظهر سقطا
ممن اضاع جواهر نفسه باقية هي عنده وموجودة له وطلب اغراضا خسيسة فانية ليس عنده ولا موجودة
له فان اتفق ان يجدها لم يبق له ولم يترك عليه وذلك انها ينتقل عنه او ينتقل عنها لا محالة فلذلك
قلنا ينبغي لمن رزق الكفاية ووجد القصد من السعادة الخارجة ان لا يشتغل بفضول العيش فانها بلا نهاية
ومن مطلبها اوقعته في مكاره لا نهاية لها وقد علمناك فيما تقدم ما الكفاية والقصد وان الغرض الصحيح
منها هو مداواة الآلام والتحرز من الوقوع فيها لا التمتع وطلب اللذة فان من عالج الجوع والعطش
الذين هما مرضان والمان حادثان لا ينبغي له ان يقصد لذة البدن بل صحته فانه سيلتذ لا محالة فان
طلب بالعلاج اللذة لا الصحة لم يحصل له الصحة فاما من لم يرزق الكفاية واحتاج الى السعي والاضطراب
في تحصيلها فيجب عليه ان لا يتجاوز القصد وقدر حاجته منها الى ما يضطر معه الى السعي الخبيث والحرص
الشديد والتعرض لمقابح المكاسب وضروب المهالك والمعاطب بل يجمل في طلبها احتمال العارف بخساستها كانه
يضطر اليها لنقصانه فيطلب منها ما يطلب سائر الحيوان من ضروراتها فان العاقل اذا تصفح احوالها وجد منها ما ياكل
الميتة ومنها ما ياكل الروث والخثى وهي مسرورة بما تجده من اقواتها قريرة العين بها ولست تحس من نفوسها
نفورا ولا تقززا ولا تنصرف نفوسها عنها كما تنصرف نفوس الحيوانات المضادة لها بل انما تنصرف عن اقوات تلك الاخرى التي

بضادها فى النظافة ومثال ذلك الجعل والخنافس اذا قيست الى النحل فان تلك يهرب من الروايح الطيبة والاقوات النظيفة وهذه تطلبها وتسربها فاذن نسبة كل حيوان الى قوته الخاص به كنسبة الحيوان الآخر الى قوته الخاص وكل مقتنع بما يحفظ بقاؤه وحيوته طالب لما يشبهه فينبغى ان ينظر الى اقواتها بهذه العين وينزلها منزلة الحشو الذى يضطر الى ملابسها لاخراج ما كنا نحرص على الوصول اليه فلا نبعدها من الآخر لانهما ضروريان لنا فنحن نلابسها لاجل الضرورة ولا نشغل عقولنا باختيارهما والتمتع بهما وافناء اعمارنا فى التانق لهما والتوصل اليهما ولا نتكاسل ايضا عن اعداد ضروراتنا منهما وانما يفضل احدهما على الآخر ويستحسن السعى فى طلب الداخل ولا يستحسن السعى فى طلب الخارج لان الاول منهما هو غذاء موافق لنا يخلف علينا ما تحللت من ابداننا وكما لا نستوحش ولا ننفر من ابداننا ولا نستقذرها كذلك لا ننفر مما يضعه مكان ما ينقص منه وينوب عنه واما الثانى منهما عصارة ذلك الغذاء وما نفته الطبيعة واجتذبت حاجتها منه اعنى الذى احالته دما صافيا وفرقته فى العروق على الاعضاء واطرحت الثقل الذى لا حاجة بها اليه وهو فى غاية المخالفة والبعد من امزجتنا فنحن نستوحش منه وننفر عنه لاجل الضدية والمخالفة الا انا مضطرون الى اخراجه وتنحيته ونفضه عنا بالآلات الموهوبة لنا المستعملة فى ذلك لتفرغ مكانه لما ياتى بعده ويجرى مجراه وينبغى لحافظ الصحة على نفسه ان لا يحرك قوته الشهوية ولا قوته الغضبية بتذكر ما اصاب منهما فوجد لذة بهما بل يتركهما حتى يتحركا لانفسهما واعنى بهذا ان الانسان ربما يذكر لذاته من اصابة الشهوات او مراتبه من كرامة السلطان وعزها فاشتاق اليها واذا اشتاق اليها يحرك نحوها واذا تحرك نحوها فقد جعلها غرضا له فيضطر الى استعمال الروية واستخدام النفس الناطقة فيه ليدبر له الوصول اليه وهذه صورة من يهيج سباعا ضارية ثم يلتمس معالجتها والخلاص منها وليس يختار العاقل لنفسه هذه الحال بل هو من افعال المجانين الذين لا يتميزون بين الخير والشر ولا بين الصواب والخطا فلذلك يجب ان لا نتذكر اعمال هاتين القوتين لئلا نشتاق اليها ونحرك نحوها بل نتركهما فانهما سيثوران لانفسهما ويهيجان عند حاجتهما ويلتمسان ما يحتاج البدن اليه ونجد من باعث الطبيعة ما يغنيك عن بعثهما بالفكر والتميز ويكون حينئذ فكرك وتميزك فى ازاحة علتهما وتقدير ما يطلقه لهما فى الامر الضرورى الواجب لا بد لنا لحافظ الصحة وهذا هو رضاء مشية الله وانما سميا لانه تعالى وتقدس انما وهب هاتين القوتين لنا لنستخدمهما عند حاجتنا اليهما لا لنخدمهما ونتعبد لهما فكل من استخدام النفس الناطقة فى خدمة عبدها فقد جاوز امر الله وتعدى حدوده وعكس سنته سيا وتقديره ولا عدل افسر

اشرف وافضل من منشيا وتقديره فكل من خالف وعدل عنه فهو اعظم جاير على ذاته واعظم ظالم لنفسه وينبغى يحافظ
الصحة على نفسه ان يطلق نظره فى كل ما يفعل ويدبره ويستعمل فيه الات بدنه ونفسه لئلا يجرى فيها على عادة تقدمت
له مخالفة لما يوجبه تميزه ورويته فما اكثر ما يعرض للانسان ان يبدو منه فعل مخالف لما اقدم فيه عزيمته وعقد عليه رأيه
عرض له مثل هذا فيجب عليه ان يضع لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه الذنوب فاذا انكر من نفسه مبادرة الى
طعام ضار او ترك حمية قد كان استشعرها او تناول فاكهة غير موافقة او حلو كذلك عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه
الا على الطف ما يقدر عليه ولعله وان امكنه الطى فليطو ويزيد فى الحمية من غير حاجة اليها ويكون فى توبيخه لنفسه
ان يقول لها انك قصدت تناول النافع فتناولت الضار وهذا فعل من لا عقل له ولعل كثيرا من البهائم احسن حالا
منك لانه ليس فيها ما يقصد لذة لها ثم يتناول ما يؤلمها فاستمسكى الان للعقوبة وان انكر من نفسه مبادرة
الى غضب فى غير موضعه او على من لا يستحقه او زيادة على ما يجب منه فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يعرفه بالبذاء
ثم ليحتمله او ليبذل ذلك لمن يعرفه بالخيرية فمن كان لا يتواضع لمثل ذلك او ليفرض على نفسه مالا يخرجه صدقة
وليجعل ذلك نذرا عليه لا يخل به وان انكر من نفسه كسلا وتوانيا فى مصالحه فليعاقب نفسه بسعى فيه مشقة او صلاة
فيها طول او بعض الاعمال الصالحة التى فيها كد وتعب وبالجملة فليرسم على نفسه رسوما تصير عليها فرايض وحدودا لا
تخل بها ولا يترخص فيها واذا انكر فى نفسه مخالفة لعقله ويجاوز المرسومة ليحذر فى جميع اوقاته ملابسة رذيلة او مساعدة
رفيق او مخالفة صواب ولا يستحقرن شيئا ثابتة من صغاير السيئات ولا يطلبن رخصة فيها فان ذلك يدعوه الى
ما هو اعظم منها ومن تعود فى مبداء نشوه وحداثة شبابه ضبط النفس عن شهواته والحلم عند ثوران غضبه وحفظ لسانه
وتحمل اقرانه خف عليه ما يثقل على غيره ممن لا يتادب بهذه الاداب وبيان ذلك انا نجد العبيد واشباههم اذا بلوا
الى ان يسفهوا عليهم ويشتمون اعراضهم هان عليهم الخطب فيما يشتمونه حتى لا يوثر فيهم وربما ضحكوا عند سماع مكروه شديد
ضحكا غير متكلف ويعملون عند ذلك اعمالهم وادعين طلقين غير قلقين وقد كانوا قبل ذلك شرسين غضوبين غير
محتملين ولا ممسكين عن الاجوبة والانتقام بالكلام وطلب التشفى بالخصام وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضايل و
تجنبنا الرذايل وامسكنا عن مقابلة السفهاء ومجازاتهم والانتقام منهم ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتشبه
بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون للاعداء بالعدة والعتاد والتحصن قبل هجوم العدو بهم فى مهلة من زمانهم

وفي اتساع من نظرهم ولو اغفلوا ذلك الى ان تحزبهم التجارب وتطرقهم الشدائد لاذهلهم الامر عن الحيلة وعن الرأي السديد
فعلى هذا الاصل يجب ان يبنى الامر في الاستعداد لاعدائنا من الشره والغضب وسائر ما ذكرنا من امراضنا بان نتعود الصبر على ما يجب
الصبر عليه والحلم عمن ينبغي ان نحلم عنه ونضبط النفس عن الشهوات الردية ولا ننتظر بدفع هذه الرذائل وقت هيجانها فان ذلك
عند ذلك صعب جدا ولعله غير ممكن البتة ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتطلب عيوب نفسه باستقصاء شديد ولا يقنع
بما قاله جالينوس في ذلك فانه ذكر في كتابه المعروف بتعرف المرء عيوب نفسه انه لما كان كل انسان يحب نفسه خفيت عليه
معايبه ولم يرها وان كانت ظاهرة واشار في كتابه هذا بان يختار من يحب ان يبرأ من العيوب صديقا كاملا فاضلا
فيخبره بعد طول المؤانسة انه انما يعرف صدق مودته اذا صدقه عن عيوبه حتى يجتنبها ويأخذ عهده على ذلك ولا يرضى منه اذا قال
له لا اعرف لك عيبا بل يعتب عليه وينكر ما يقوله ويعلمه انه قد اتهمه بالخيانة ويعاود مسئلته والالحاح عليه فان لم يخبره
بشيء من عيوبه فليظهر هجرة رقيقة وعتابا صحيحا ويزيد في الرغبة اليه فان من اخبره بشيء من عيوبه زاد قليلا فاذا اخبره ببعض ما يعثر عليه
منه فلا يظهر له في وجهه او كلامه كراهية ولا انقباض بل يبسط له وجهه ويظهر السرور بما اخبره اليه وينبه عليه ليشكره على
الانام وفي اوقات المؤانسة يتطرق له الى هذا ميله اليه ثم ليعالج ذلك العيب بما يزيل اثره ويحفظ له ليعلم ذلك المهدي اليك عيوبك
انك من وراء صلاح نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا ينقبض عن معاودتك ونصيحتك وهذا الذي اشار به
جالينوس معوز غير موجود ولا مطموع فيه ولعل العدو في هذا الموضع انفع من الصديق فان العدو لا يحتشم في اظهار عيوبنا
بل يتجاوز بما يعرف منها الى التخرص والتكذيب فيها فننتبه على كثير عيوبنا من جهتهم ولجالينوس ايضا مقالة يخبر فيها ان
اخيار الناس ينتفعون باعدائهم وهذا صحيح لا يخالف فيه احد وذلك لما ذكرناه فاما ما اختاره ابو يوسف يعقوب
بن اسحق في ذلك فهو ما احكيه بالفاظه وهو هذا قال ينبغي لطالب الفضيلة ان يتخذ صور جميع معارفه من الناس مرآى
له تريه صورة كل واحد منهم عند ما يعرض من الالام التي تثير السيئات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له وذلك انه يكون
متفقدا اشياء الناس متى رأى سيئة ما دية من احد ذم نفسه عليها كانه هو فعلها واكثر عتبه على نفسه من اجلها ويحرض على نفسه في تفقد
كل يوم وليلة جميع افعاله حتى لا يشذ عنه منها شيء ثم يجب بنا ان نجتهد في حفظ ما اقتصصناه من الجنايات الردية والارادة القبيحة الطالعة
الغريبة منا التي لا يسعنا صدها البتة في كل يوم ولا نحفظ ما يتفق من ذواتنا التي بتغييرها تقاومنا ونقصانها
فناوننا فاذا وقفنا على سيئة من افعالنا اشتد عذلنا لانفسنا عليها ثم نقيم عليها جزاء تقرضه ولا نضيعه اذا تصفحنا افعالنا

افعال غيرنا و وجدنا فيها سيئة عاينا ايضا نفوسنا عليها فان النفس تمتنع حينئذ عن المساوى وحتى تالف المساوى
منها بنا ان لا ينشاها ولا يأتى عليها زمان طويل فتعفى ذكرها فلذلك ينبغى ان نعمل فى الحسنات لنتسرع اليها ولا
يفوتنا شئ منها قال وينبغى ان لا يقنع بان نصير اشباه الدفاتر الكتب التى يفيد غيرها معانى الحكمة وهى عادمة
اقتنارها كالمسان التى تشحذ ولا تقطع بل يكون كالشمس المفيدة القمر كلما اشرقت عليه انارة من فيض نورها
فيفعل اتماما حتى لها شبها وان قصر عن نورها فكذا ينبغى ان يكون حالتنا اذا فقدنا غيرنا الفضايل هذا الذى
ذكره الكندى فى ذلك ابلغ مما قاله من تقدمه القول فى رد الحصر على النفس ان لم يكن حاضرة وهو القول
فى علاج امراضها ننتكل بذكر اجناس هذه الامراض الغالبة ثم بمداواة الاعظم فالاعظم منها فالحالة والاكبر فالاكبر
منها جناية فنقول اما اجناسها العالية فهى مقابلات الفضايل الاربع التى احصيناها فى مبدا الكتاب ولما كانت
الفضايل اوساطا محدودة واعيانا موجودة امكن ان نطلب ونقصد وننتهى اليها بالحركة والسعى والاجتهاد واما
النقط التى ليست باوساطها فانها غير محدودة ولا لها اعيان موجودة ووجودها بالعرض لا بالذات ومثال
ذلك ان الدايرة لها مركز واحد هى نقطة واحدة لها وجود فى ذاتها يقصد ويشار اليها وان لم نجدها حسا
ولم يمكننا الاشارة امكننا استخراجها واقامة البرهان عليها وانها هو المركز دون غيرها من النقط واما التى ليست
بمركز فهى بلا نهاية ولا وجود لها بالذات وانما يوجد اذا فرضت فرضا وليست لها عين قائمة فلذلك لا تقصد
ولا يمكن استخراجها لانها مجهولة ولانها شايعة فى جميع بسيط الدايرة فاما الطرفان اللذان يسميان متضادين
فهما موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم معين والبعد بينهما غاية البعد ومثال ذلك اما اذا اخرجنا
من مركز الدايرة خطا مستقيما الى المحيط صار طرفاه محدودين احدهما المركز والاخر مقابلته والبعد بينهما غاية
البعد مثاله من المحسوس البياض والسواد فان احدهما مضاد للاخر وهما محدودان والبعد بينهما غاية البعد فاما
الاوساط التى بينهما فهى بلا نهاية وكذلك الالوان هى بلا نهاية واما اطراف الفضيلة فلما كانت اكثر من واحد
لم يتم ضدا لان لكل ضد ضدا واحدا ولا يمكن ان يوجد اضداد كثيرة لضد واحد والسبب فى ذلك
ان البعد بينهما غاية البعد ويوجد عند الفضيلة الواحدة اكثر من طرف واحد وذلك اذا تصورنا الفضيلة مركزا
واخرجنا منه خطا مستقيما الى المحيط ثم خط له نهاية امكننا ان نخرج من جانب المقابل له خطا اخر على استقامته قصير

له نهاية اخرى ويصيران جميعا متقابلين للمركز الذى فرضناه فضيلة الا ان احدهما يجرى مجرى الافراط والغلو
والاخرى يجرى مجرى التفريط والتقصير واذ قد فهم ذلك فليعلم ان لكل فضيلة طرفين محدودين يمكن الاشارة اليهما
واوساطا بينهما كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها الا ان الوسط الحقيقى هو واحد وهو الذى سميناه فضيلة
ثم ليعلم انا بحسب هذا البيان نجعل الرذائل ثمانية لانها ضعف الفضائل الاربع التى تقدم شرحها وهى هذه التهور
والجبن طرفان للوسط الذى هو الشجاعة الشره والخمود طرفان للوسط الذى هو العفة البله والدهاء طرفان للوسط
الذى هو الحكمة الجور والمهانة اعنى الظلم والانظلام طرفان للوسط الذى هو العدالة وهذه اجناس الامراض
العائلة التى يقابل الفضائل التى هى صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لا نهاية لها ونبدا بذكر التهور والجبن
اللذين هما طرفا الشجاعة وهى فضيلة النفس الغضبية فنقول ان سببها ومبداها النفس الغضبية ولذلك صارت
البلية باسرها من علائق الغضب والغضب بالحقيقة هو حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة الانتقام
فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب واضرمتها واحتد غليان دم القلب وامتلاء الشرائين والدماغ
دخانا مظلما مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك على ما حكاه الحكماء
مثل كهف ملئ حريقا واضرم نارا فاختنق فيه اللهب والدخان وعلا منه الاجيج والصوت المسمى حس النار فيصعب علاجه
ويتعذر اطفاؤه ويصير كلما ادنيته منه للاطفاء سببا لزيادته ومادة لقوته فلذلك يعمى عن الرشد ويصم عن الموعظة
بل يصير المواعظ كلها فى تلك الحال سببا للزيادة فى الغضب ومادة للالتهاب والتاجج وليس يرجى له فى تلك الحال
حيلة وانما يتفاوت الناس فى ذلك بحسب المزاج فان كان المزاج حارا يابسا كان قريبا من حال الكبريت الذى
اذا ادنيت منها الشرارة الضعيفة التهب وان كان بالضد صارت حاله بالضد وهذا فى مبداء امره وعنفوان
حركة الغضب فاما اذا احتدم فيكاد الحال يتقارب فيه ونحو ذلك من الحطب اليابس والرطب ومثل مبداء
اشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت والنفط ثم انحدارهما الى الادهان المتوسطة الى ان ينتهى الى الاحتكاك
فان الاحتكاك وان كان ضعيفا فى توكيد النار وربما قوى حتى يلهب الاجسام العظيمة والقيضة الاشياء المتعة ولذلك
مثال السحاب الذى هو البخارين كيف يحتك حتى يقدح بينهما النيران وينزل منها الصواعق التى تسبب النار ما يسمى من
الموانع ولا يفارق ما يتعلق به حتى يصيره رمادا وان كان جبلا املس وحجرا اصم واما استقر لطيفة ثم وال الى السعتة اذا

اذا عصفت بها الرياح وتلاطمت عليها الامواج وقذفت بها الى اللجج التى فيها الجبال ارجى منى للغضبان الملتهب
وذلك ان السفينة فى تلك الحال تتلطف لها الملاحون ويخلصونها بضروب الحيل فاما النفس اذا استشاطت غضبا
فليس يرجى لها حيلة البتة وذلك ان كل ما رمى به الغضب من التضرع والموعظة والخضوع يصير له بمنزلة الجزل من الحطب
يوجهه ويزيده اسعارا فاما اسبابه المؤكدة فهى العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والغدر والضيم
وطلب الامور التى فيها عزة ويتنافس الناس فيها ويتحاسدون عليها وشهوة الانتقام غاية لها لانها باجمعها ينتهى اليه ومن
لواحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا او اجلا وتغير المزاج وتعجيل الالم وذلك ان الغضب جنون ساعة وربما
ادى الى التلف باختناق حرارة القلب فيه وربما كان سببا لامراض صعبة مؤدية الى التلف ثم مقت الاصدقاء
وشماتة الاعداء واستهزاء الحساد والاراذل ولكل واحد من هذه الاسباب علاج يبدأ به حتى يقطع من اصله فاما اذا اتفقنا
بحسم هذه الاسباب وفى مواطنها فقد اوهينا قوة الغضب وقطعنا مادته وامنا غايلته فان عرض لنا منه عارض
كان بحيث يطيع العقل ويلتزم شرائطه وحدثت فضيلة اعنى الشجاعة فنكون حينئذ اقداما على ما تقدم عليه كما
يجب وبحيث يجب وبالمقدار الذى يجب وعلى من يجب اما العجب فحقيقته اذا حددناه انه ظن كاذب بالنفس فى استحقاق
مرتبة هى غير مستحقة لها وحقيق على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب او النقصانات التى تعتورها وان الفضل
مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد منهم الا بفضائل غيره وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه ان لا يعجب بنفسه
وكذلك الافتخار فان الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عنا ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بما لا يملكه و
كيف يملك ما هو معرض للافات والزوال فى كل ساعة وكل لحظة ولسنا على ثقة منه فى شىء من الاوقات
واصح الامثال واصدقها فيه ما قال الله عز وجل حيث قال واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
الى قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ثم قال تعالى واضرب لهم مثل
الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل
شىء مقتدرا وفى القران من هذه الامثال شىء كثير وكذلك فى الاخبار المروية عن النبى صلى الله عليه واله وسلم
واما المفتخر بنسبه فاكثر ما يدعيه اذا كان صادقا ان اباه كان فاضلا فلو حضر ذلك الفاضل وقال ان الفضل الذى تدعيه لى
انا مستبد به دونك فما الذى عندك منه مما ليس عند غيرك لافحم واسكته وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه واله

في هذا المعنى اخبار صحيحة منها انه قال عليه السلام لا تاتوني بانسابكم واتوني باعمالكم وحكي عن بعض الحكماء ان بعض
الفلاسفة انه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له ان افتخرت على بفرسك فالحسن والفراهة للفرس لا لك وان افتخرت
بثيابك والاتك فالحسن لها دونك وان افتخرت باباءك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت المحاسن والفضائل خارجة
عنك وانت منسلخ منها وقد رددناها على اصحابها بل لم تخرج عنهم فقد رد عليهم فمن انت وحكي عن بعض الفلاسفة
انه دخل على بعض اهل اليسار والثروة وكان يحتشد في الزينة ويفتخر بكثرة ماله والاته وحضرت الفيلسوف بزقة فتنحنح لها
والتفت في البيت يمينا وشمالا ثم بزق في وجه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال اني نظرت الى البيت
وجميع ما فيه فلم اجد هناك اقبح منه فبزقت وهكذا يستحق من كان خاليا من فضائل نفسه وافتخر بالخارجات عنه واما المراء
واللجاج فقد ذكرنا قبح صورتهما في المقالة التي قبل هذه وما يولده انه من الشتات والفرقة والتباغض بين الاخوان واما
المزاح فان المقدار المعتدل منه محمود وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان امير المؤمنين
عليه السلام كثير المزاح حتى عابه بعض الناس به فقال لولا دعابة فيه ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب والكثير
يبتدي به ولا يدري اين يقف منه فيخرج عن حده ويروم الزيادة فيه على صاحبه حتى يصير سببا للوحشة فيثير غضبا كامنا
ويزرع حقدا باقيا فلذلك عددناه في الاسباب فينبغي ان يحذره من لا يعرف حده ويذكر قول القائل رب جد جره اللعب وقول بعض الحكماء
انما المزاح ثم هيج فتنة لا يهتدى لعلاجها واما التيه فهو قريب من العجب والفرق بينهما ان المعجب بنفسه يكذب نفسه فيما يظن بها
والتياه يكذبه على غيره ولا يكذب نفسه الا ان علاجه علاج المعجب بنفسه وذلك بان يعرف ان ما يتيه به لا مقدار له عند العقلاء
وانهم انما لا يعتدون به لخسة قدره وزيادة حظه من السعادة ولانه متغير زائل غير موثوق ببقائه واما الاستهزاء فانما
يستعمله المجان من الناس والساخرة ومن لا يبالي بما يقابل به لانه قد وضع في نفسه احتمال مثل ذلك والضعفاء فهو انما حاله
قرير العين بضروب الاستخفافات التي تلحقه وانما يتعيش بالدخول تحت المذلة والصغار بل انما يتعرض بقليل ما يجري به
الكثير مما يعامل به لخفة عقله وينال اليسير من نزر وليكن الفاضل بعيدا من هذا المقام فليكرم نفسه ويصونها عن تعريضها للسفهاء ولا يبيعها
بجميع خزائن الملوك فضلا عن الحقير التافه واما الغدر فوجوهه كثيرة اعني انه قد يستعمل في المال وفي الجاه وفي الحرم وفي المودة وهو على
كثرة وجوهه مذموم بكل لسان وبغيض عند كل احد يتنفر السامع من ذكره ولا يعترف به انسان وان قل حظه من الانسانية
وليس يوجد الا في جنس من اجناس العبيد يتحاماه الناس ويأنف منهم سائر اجناس العبيد وذلك الجنس الذي يخص

موجود في جنس الروم والحبشة والنوبة وقد شاهدنا من حسن وفاء كثير من العبيد ما لم نشاهد في كثير من المتسمين بالاحرار
وممن يترفع ويقبح العبد باسمه ويغفل العقلاء منه ثم عرف معناه فليس يستعمله خاصة من له طبيعة جيدة او قرأ ما تقدم
في هذا الكتاب وتخلق به وانتهى في قراءته الى هذا الموضع فاما الضيم فهو تكليف احتمال الظلم والغضب انما يعرض انفة
منه وشهوة للانتقام وقد ذكرنا فيما تقدم حال الظلم والانظلام وشرحنا الحال فيهما فينبغي ان لا نتسرع الى الانتقام
عند ضيم يلحقنا حتى ننظر فيه ونتحذر ان لا يعود علينا الانتقام بضرر اعظم من احتمال ذلك الضيم وهذا النظر والحذر
هو استشارة العقل مع الحلم بعينه فاما طلب الامور التي فيها عزة ويتنافس فيها الناس فهو خطأ من الملوك والعظماء
فضلا عن اوساط الناس وذلك ان الملك اذا حصل في خزاينه علق كريم نفيس فهو متعرض به للجزع عليه عند
فقده ولا بد من حلول الافات به لما عليه طبيعة العالم اعني عالم الكون والفساد من تغير الامور واحالتها
وادخال الفساد على كل ما يدخر ويقتنى فاذا فقد الملك ذخيرة عزيزة الوجود ظهر عليه ما يظهر على المفجوع المصاب بما يعز عليه
ويبين فقده الى نظيره الذي لا يجده فيطلع الصديق والعدو على حزنه وكآبته وحكي عن بعض الملوك انه اهدي اليه قبة
بلور صافية عجيبة النقاء محكمة الخرط قد استخرج منها اساطين وصنوف خاطر بها صانعها مرة بعد اخرى في تخليص النقوش و
الحروف والتجاويف التي بين الصور والاوراق فلما حصلت بين يديه كثر تعجبه منها واعجابه بها وامر بها فرفعت في خاص خزانته فلم
يات عليها كثير زمان حتى اصابها ما يصيب امثالها من المتالف وبلغ ذلك الملك فظهر من الاسف والجزع ما منعه من التصرف
في اموره والنظر في مهماته والجلوس لجنده وحاشيته واجتهد الناس في وجود شيء شبيه به فتعذر عليهم فظهر ايضا من عجزه
وامتناع مطلوبه عليه ما تضاعف به جزعه وحسرته فاما اوساط الناس فانه متى ادخروا آلة كريمة وجوهرا نفيسا او اتخذوا
مركوبا فارها وما اشبه هذه الاشياء التمسها منه من لا يمكن رده عنها فان جزع عنها وبخل عليه بها فقد عرض نفسه
للبلوى وان سمح بها لحقه من الجزع والغم ما كان مستغنيا عنه فاما الاحجار المتنافس فيها من اليواقيت واشباهها مما يبعد
عنه الافة في نفسها فليس تبعد عنها الافات الخارجة منها من السرقة وضروب الحيل فيها واذا ادخرها الملك قل انتفاعه بها
عند حاجته اليها وربما عدم الانتفاع بها دفعة وذلك ان الملك اذا اضطر اليها لم ينفعه في عاجل امره وحاضر ضرورته وقد
شاهدنا اعظم الملوك خطرا في عصرنا لما احتاج اليها بعد فناء امواله ونفاد ما في خزائنه وقلاعه لم يجد ثمنها ولا قريبا من ثمنها عند
الحكام لم يحصل منها الا على الفضيحة في حاجته الى رعيته في بعض قيمتها وهو لا يقدر على قليل ولا كثير من اثمانها وهي مبذ

مبتذلة في ايدي الملاحين والتجار والسوقة يتجملون منها ولا يعدون عليها من قدر منهم على شيء منها لم يتجاسر على اخراجها خوفا
من تنبيه بعد ذلك وظهور امره فينتزع منهم فهذه حال هذه الانجاح عند الملوك فاما التجار الموسومون بهذه التجارة فربما
اتفق لهم زمان صالح يتمكنون فيه من الاظهار والامن من السرب وحينئذ يكون بضاعتهم شبيه بالكاسدة لانها لا تنفق الا على الملوك
الوادعين الذين لا يحزبهم شيء من نوائب الدهر وقد استمر بهم الخفض وفضلت اموالهم عن الخزائن والقلاع فحينئذ يغترون
بالزمان فيقعون في مثل هذه الخدائع ثم تؤول عاقبتهم الى ما حذرنا منه فهذه اسباب الغضب والامراض الحادثة
منها وقد ذكرنا علاجاتها وحذرنا من اسبابها والوقوع فيها ومن عرف العدالة وتخلق بها كما كتبناه فيما تقدم سهل
عليه علاج هذا المرض لانه خروج عن الاعتدال ولذلك لا ينبغي ان نسميه باسماء المديح واعني بذلك
ان قوما يسمون هذا النوع من الجور اعني الغضب في غير موضعه رجولية وشدة شكيمة ويذهبون به مذهب الشجاعة
التي هي بالحقيقة اسم مدح وشتان ما بين المذهبين فان صاحب هذا الخلق الذي ذممناه يصدر عنه افعال ردية
كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على اخوانه ثم على الاقرب فالاقرب من معامليه حتى ينتهي الى عبيده وخدمه وحرمه فيكون عليهم سوط
عذاب لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا ابراء من الذنوب غير مجرمين ولا مكتسبين سوءا بل يتجرم عليهم
ويهيج من ادنى سبب يجد به طريقا اليهم حتى يبسط لسانه ويده عليهم وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن انفسهم
بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوا استكفافا لشره وتسكينا لغضبه وهو في ذلك مستمر على طريقته لا يكف
يدا ولا لسانا وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس الى البهائم التي لا تعقل والى الاواني التي لا تحس فان صاحب هذا
الخلق الردي ربما قام الى الحمار والبرذون والى الحمام والعصفور فيتناولها بالضرب المكروه وربما عض القفل
اذا تعسر عليه وكسر الانية التي لا يجد فيها طاعة لامره وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور في كثير من الجهال
يستعملونه في الثوب والزجاج والحديد وسائر الالات واما الملوك من هذه الطائفة فانهم يغضبون على الرياح والمياه
اذا هبت بخلاف هواهم وعلى القلم اذا لم يجر على رضاهم فيسبون ذلك ويكسرون هذا وكان بعض من تقدم عهده من
الملوك يغضب على البحر اذا ما جرت فيه سفينة لا تسلم به حركة امواجه حتى يهدده بطرح الجبال فيه وطمه بها وكان بعض
السفهاء في عصرنا يغضب على القمر ويهجوه لشعر له مشهور وذلك انه كان يتأذى به اذا نام فيه وهذه الافعال كلها قبيحة و
بعضها مع قبحه مضحك يهزأ لها فكيف يمدح بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها وهي بالمذمة والفضيحة اولى

ارق منها بالتدبير وأبى حفظها في العزم والشدة ونحن نجدها في النساء أكثر منها في الرجال وفي المرضى والضعفاء أكثر
منها في الأصحاء الأشداء. ونجد الصبيان أسرع غضبا من الرجال والشيوخ أكثر ضجرا من الشبان ونجد رذيلة الغضب
مع رذيلة الشره فإن الشره إذا تعذر عليه ما يشتهيه غضب وضجر على من يهيئ طعامه وشرابه من نسائه وخدمه وسائر
من يلابس أمره والبخيل إذا افتقد شيئا من ماله يسرع بالغضب على أصدقائه وعلى الطيرة وتوجهت تهمته إلى أهل الثقة من
خدمه ومواليه وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من أخلاقهم إلا على فقد الصديق وعدم النصيح وعلى الندم السريع واللوم
الوجيع وهذه خلال لا يدوم معها غبطة ولا سرور وصاحبها أبدا محزون كئيب منغص العيشة متبرم بأموره وهي حال الشقي
المرجوم فأما الشجاع العزيز النفس فهو الذي يقهر بحلمه غضبه ويتمكن من التمييز والنظر فيما يكره ولا يستفزه ما يرد عليه من الحركات
لغضبه حتى يروّي وينظر كيف ينتقم وممن وعلى أي قدر أو كيف يصفح ويغضي عمن وفي أي ذنب وقد حكي عن الإسكندر الملك أنه
رفع إليه عن بعض أصحابه أنه يعيبه وينتقصه وقال له بعض نصحائه لو أدبته أيها الملك بعقوبة تنكله فقال له كيف
يكون إنما كثر بعد عقوبتي له في ثلبي وطلب معايبي لأنه حينئذ أبسط لسانا وأعذر عند الناس وأتي يوما ببعض أعدائه
من المتغلبين الخارجين عليه وكان قد عاث في أطرافه عبثا كثيرا فصفح عنه فقال له بعض جلسائه ولو كنت أنا أنت
لقتلته فقال الإسكندر فإذا لم أكن أنا أنت فلست بقاتله وقد ذكرنا معظم أسباب الغضب ودللنا على معالجتها وحسمها
وهو النوع الأعظم من أمراض النفس وإذا تقدم الإنسان في حسم سببه لم يحس بألمه منه وكان ما يعرض منه سهل العلاج
قريب الزوال لا مادة له تمده ما يسده ولا سبب يثيره ويوقده ويجد روية موضعا لإجالة النظر والفكر في فضيلة الحلم
واستعمال المكافاة إن كان صوابا أو التغافل إن كان حزما والذي يتلو معالجة هذا النوع من أمراض النفس معالجة
الجبن الذي هو الطرف الآخر من ضدها ولما كانت الأضداد تعرف بعضها من بعض كنا قد عرفنا الطرف الذي هو حركة
للنفس عنيفة قوية تحدث منها غليان دم القلب شهوة الانتقام فقد عرفنا إذن مقابله أعني الطرف الآخر الذي هو
سكون النفس عندما يجب أن يتحرك فيه وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والخور ويتبعه مهانة النفس وسوء
العيش وطمع الأنذال وغيرهم من الأهل والولد وسائر المعاملين وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات
وهو أيضا سبب الكسل ومحبة الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ومن لواحقه الاستخذاء لكل أحد والرضا بكل ما لم فيه ضيم
والدخول تحت كل فضيحة في النفس والولد والأهل وسماع كل قبيحة وفاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من

كل معاملة وقلة الانفة مما يانف منه الناس الاحرار وعلاج هذه الاسباب واللواحق يكون باضدادها وذلك
بان يوقظ النفس التى تمرض هذا المرض بالهز والتحريك فان الانسان لا يخلو من القوة الغضبية راسا حتى يجلب اليه من مكان
اخر لكنها تكون ناقصة عن الواجب فهى بمنزلة النار الخامدة التى فيها بقية لقبول الريح والنفخ فهى تتحرك لا محالة اذا حركت بما
يلائمها وتثبت ما فى طبيعتها من التوقد والتلهب وقد حكى عن بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل نفسه
على المخاطرات العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه ويجتهد ليعود نفسه الثبات فى المخاوف ويحرك منها القوة التى تسكن
عند الحاجة الى حركتها ويخرجها عن رذيلة الكسل ولواحقه ولا يكره لصاحب مثل هذا المرض بعض المراء والتعرض للملاحاة وخصومة
من يامن غايلته حتى يقرب من الفضيلة التى هى وسط بين الرذيلتين اعنى الشجاعة التى هى صحة النفس المطلوبة واذا وجدها
بها من نفسه كف ووقف ولم يتجاوز حذرا من الوقوع فى الجانب الاخر الذى علمناك علاجه ولما كان الخوف الشديد فى
غير موضعه من امراض النفس وكان متصلا بهذه القوة وجب ان نذكره ونذكر اسبابه وعلاجه فنقول ان الخوف يعرض من توقع مكروه
وانتظار محذور والتوقع والانتظار انما يكونان للحوادث فى الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كانت
يسيرة وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة والامور الممكنة ربما كانت من اسبابنا وربما كان غيرنا سببها وجميع هذه الاقسام
ليس ينبغى للعاقل ان يخاف منها اما الامور الممكنة فهى بالجملة مترجحة بين ان يكون وبين ان لا يكون وليس يجب ان يصمم على انها تكون
فيستشعر الخوف منها ويتعجل مكروه التالم بها وهى بعد لم تقع ولعلها لا تقع وقد احسن الشاعر فى قوله ؎ وقل للفؤاد ان
نزابك نزوة ۞ من الروع فى فرح الروع باطله ۞ فهذه حال ما كان منها عن سبب من خارج وقد اعلمناك انها ليست
من الواجبات التى لا بد من وقوعها وما كان كذلك فالخوف من مكروهه يجب ان يكون على قدر حدوثه وانما يحسن العيش و
يطيب الحيوة بالنظر الجميل والامل القوى وترك الفكر فى كل ما يمكن ان لا يقع من المكاره واما ما كان سببه اختيارنا
وجناياتنا على نفسنا فينبغى ان نحترز منه بترك الذنوب والجنايات التى تخاف عواقبها ولا نقدم على امر لا نامن غائلته
فان هذا العمل من لسوء ان الممكن هو الذى يجوز ان يكون ويجوز ان لا يكون وذلك انه اذا اتى ذنبا وجنى جناية
قدر فى نفسه انه يخفى فلا يظهر او لا يخفى فيظهر الا انه يتجاوز عنه او لا يكون له غائلة وكانه يجعل طبيعة الممكن واجبا كما
ان خص القسم الاول ويجعل لها الممكن واجبا الا ان هذا من جانب الحذر رخاصة وذلك يخاف الجانب المامون جهته
اعنى بهذا ان الممكن لما كان متوسطا بين الجانب الواجب والجانب الممتنع صار كالشئ الذى له جهتان احدهما تلى

[illegible]

تلى الواجب والاخرى تلى الممتنع ومثال ذلك خط ا ح ب فنقطة ا هى الجانب الواجب ونقطة ب هى الجانب
الممتنع وموضع ح هو الممكن وبعده من الجانبين بعد واحد له الى نقطة ا جهة وله الى نقطة ب جهة واذا صار
مستقبلة ماضيا بطل اسم الممكن عنه وحصل لما فى جانب الواجب او ما فى جانب الممتنع وليس ينبغى مادام ممكنا ان
يحسب لا من هذا الجانب ولا من ذلك الجانب بل يعتقد فيه طبيعة الخاص وهو انه يمكن ان يصير الى ههنا والى هناك
ولهذا قال الحكيم وجوه الامور الممكنة فى اعقابها واما الامور الضرورية كالهرم وتوابعه ومن احب طول العمر فقد احب
الهرم واستشعر استشعارا ما لا بد منه ومع الهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية التابعة لها
وغلبة ضديهما من البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها ويتبع ذلك قلة الحركة وبطلان النشاط
وضعف الات الهضم وسقوط الات الطحن ونقصان القوى المدبرة للحيوة اعنى القوى الجاذبة والدافعة والممسكة
والغاذية وسائر ما يتبعها من مواد الحيوة وليست الامراض والالام شيئا غير هذه الاشياء ثم يتبع ذلك موت الاحباب
وفقد الاعزة فالمستشعر لها الملتزم بشرائطها فى مبدأ كونه لا يخاف منها بل ينتظرها ويرجوها ويدعو الذى يرغب الى
الله تعالى فيها عند الصلوات وفى المساجد والمشاهد فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان اعظم ما يلحق
الانسان منه هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه اشد وابلغ من جميع المخاوف وجب ان نقدم الكلام
فيه فنقول ان الخوف من الموت فليس يعرض الا لمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن
ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى موجودا وليس
هو بموجود فيه كما يظنه من جهل بقاء النفس وكيفية المعاد او لانه يظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التى ربما تقدمته
وادت اليه وكانت سبب حلوله او لانه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت او لانه متحير لا يدرى على اى شىء يقدم بعد
الموت او لانه يأسف على ما يخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها اما من جهل الموت ولم يدر
ما هو فانا نبين له ان الموت ليس بشىء اكثر من ترك النفس استعمال الاته وهى الاعضاء التى مجموعها يسمى بدنا كما يترك
الصانع استعمال الاته فان النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وهذا البيان يحتاج فيه الى علوم
يتقدمه وهو مبرهن مشروح على الاستقصاء فى موضعه الخاص ومن تطلع اليه ونشط للوقوف عليه لم يبعد منه
ومن قنع بما ذكرته فى صدر هذا الكتاب سكنت نفسه اليه علم ان ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مباين له بكل الكيفية

بذاته وخواصه وافعاله وآثاره فاذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التى شرطناها بقى البقاء الذى يخصه ونقى من كدر الطبيعة
وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه وعدمه فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا يبطل ذاته وانما يبطل الاعراض والخواص
والنسب والاضافات التى بينه وبين الاجسام باضدادها فاما الجوهر فلا ضد له وكل شئ يفسد فانما فساده من ضده وقد يمكنك
ان تقف على ذلك بسهولة من اوائل المنطق قبل ان تصل الى براهينه وان انت تاملت الجوهر الجسمانى الذى هو اخس من ذلك
الجوهر الكريم واستقريت حاله وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شئ
منه واعراضه فاما الجوهر نفسه فهو باق لا سبيل الى عدمه وبطلانه مثال ذلك الماء فانه يستحيل بخارا وهواء وكذلك
الهواء يستحيل ماء ونارا فيبطل عن الجوهر اعراضه وخواصه واما الجوهر من حيث هو جوهر فانه باق لا سبيل الى عدمه هذا
فى الجوهر الجسمانى القابل للاستحالة والتغير فاما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل استحالة ولا تغيرا فى ذاته وانما يقبل كمالاته
وتمامات صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى فاما من يخاف الموت لانه لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن ان بدنه
اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما
يجهل ما ينبغى ان يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب
به وتركوا لاجله لذات النفس وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر ورأوا ان الراحة التى يستراح بها من الجهل
هى الراحة بالحقيقة وان التعب الحقيقى هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة
ابدية فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة به هانت عليهم امور الدنيا
كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التى تؤدى اليها اذا كانت قليلة
الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم اذا وجدت عظيمة الغموم اذا فقدت فاقتصروا منها على المقدار
الضرورى فى الحيوة ويسلوا عن فضول العيش التى فيها ما ذكرت من العيوب وما لم اذكره ولانها مع ذلك بلا انقضاء
وذلك ان الانسان اذا بلغ منها الى غاية تاقت نفسه الى غاية اخرى من غير توقف على حد ولا انتهاء الى امد وهذا
هو الموت ولا ما خاف منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل ولذلك جزم الحكماء
الحكم بان الموت موتان موت ارادى وموت طبيعى وكذلك الحيوة حيوتان حيوة ارادية وحيوة طبيعية وعنوا بالموت الارادى
اماتة الشهوات وترك التعرض لها وعنوا بالموت الطبيعى مفارقة النفس البدن وعنوا بالحيوة الارادية ما يسعى له

له الانسان في حياته الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات وبالحيوة الطبيعية بقاء النفس السرمدي في الغبطة
الابدية بما يستفيده من العلوم وبراءته من الجهل ولذلك وصى افلاطن طالب الحكمة بان قال له مت بالارادة تحي
بالطبيعة على ان من خاف الموت الطبيعي للانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجوه وذلك ان هذا الموت هو تمام حد
الانسان لانه حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى افقه الاعلى ومن علم ان كل شيء هو مركب من حده وحده
مركب من جنسه وفصوله وان جنس الانسان هو الحي وفصلاه هو الناطق المائت علم انه سينحل الى جنسه وفصله لان كل مركب
لا محالة سينحل الى الشيء الذي منه تركب فمن اجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن اسوأ ممن يظن ان فناءه بحياته ونقصانه بتمامه
وذلك ان الناقص اذا خاف ان يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان
ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه الذي يأمن به الوقوع في الاسر لا
من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيدا او يثق بان الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني
خلاص نقاء وصفو لا خلاص مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته من باريه وفاز بجوار رب العالمين وخالط الارواح
الطيبة من اشكاله واشباهه ونجا من اضداده واغياره ومن ههنا نعلم ان من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة
اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والبعد من ذاتها وجوهرها سالكة الى ابعد جهاتها من مستقرها
طالبة قرار من لا قرار له فاما من ظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التي ربما اتفقت له وادت اليه فعلاجه ان يبين
له ان هذا الظن كاذب لان الالم انما يكون للحي والحي هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذي ليس فيه اثر النفس فانه
لا يألم ولا يحس فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن لا الم له لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحصول
اثرها فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له ولا الم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا
مؤلم فراق ما به كان يحس ويألم فاما من خاف الموت لاجل العقاب الذي يوعد به بعده فينبغي ان يبين له انه ليس يخاف
الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق بعد البدن الداثر ومن اعترف بشيء باق منه بعد البدن فهو لا محالة
سيعترف بذنوب له وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات
فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه ان يحذر ذلك الذنب ويجتنبه وقد بينا فيما
تقدم ان الافعال الردية التي تسمى ذنوبا انما تصدر عن هيئات ردية والهيئات الردية هي للنفس هي الرذائل التي احصيناها

وعرفنا اضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة هو جاهل بما ينبغي ان يخاف
منه وخائف مما لا اثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك
طريقا مستقيما الى غرض افضى اليه لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستبصر في دينه المستمسك
بحكمته وقد عرفنا مرتبته ومقامه فيما سلف من القول فاما من زعم انه ليس يخاف وانما يحزن على ما يخلف من اهل
وولد ومال ويتحسر ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان نبين له ان الحزن يعجل الم ومكروه
على ما لا يجدي الحزن عليه طائلا وسنذكر علاجه في باب مفرد له خاص لانا في هذا الباب انما نذكر علاج الخوف
وقد اثبتنا منه على ما فيه مقنع وكفاية الا انا نزيده بيانا في هذا الموضع فنقول ان الانسان من جملة الامور الكائنة فقد تبين في
الآراء الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فمن احب ان لا يفسد فقد احب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد احب
فساد ذاته فكانه يحب ان يفسد ويحب ان لا يفسد ويحب ان يكون ويحب ان لا يكون وهذا محال لا يخطر ببال عاقل وايضا فانه لو
لم يمت اسلافنا واباؤنا لم ينته الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقي من تقدمنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من
التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وانت تتبين ذلك مما اقول نزل ان رجلا واحدا ممن كان منذ اربعمائة سنة
هو موجود الان وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحصل اولاده موجودين معروفين لعلي ابن ابي طالب عليه السلام
مثلا وولد له اولاد ولاولاده اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم كان مقدار من يجتمع منهم في وقتنا
هذا فانك ستجدهم اكثر من عشرة الف الف رجل وذلك ان من بقيتهم الان مع ما قد رفيهم من الموت والقتل الذريع اكثر من
مائة الف انسان واحسب لكل من كان في ذلك العصر من الناس في بسيط الارض شرقها وغربها مثل هذا الحساب فانهم اذا
تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم يحصهم عدد ثم امسح بسيط الارض فانها محدودة معروفة ستعلم ان الارض
حينئذ لا تسعهم قياما متراصين فكيف قعودا ومتصرفين ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد ولا
حركة فضلا عن غيرها وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة فهذه
حال من يتمنى الحيوة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن او مطموع فيه من الجهل والغباوة فان الحكمة البالغة
والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي لا يتصور غاية
اخرى اطول منه تزيد والراغب في ان يفيد والخائف منه هو الخائف من عدل الباري وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه

فقد ظهر لنا جليا ان الموت ليس برديّ كما يظنه جمهور الناس وانما الرديّ هو الخوف منه وان الذي يخاف منه هو
الجاهل به وبذاته وقد كان ظهر ايضا مما تقدم من قولنا ان حقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن وهذه المفارقة
ليست فسادا للنفس وانما هو فساد التركيب فاما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان وخلاصته فهو باق وليس بجسم فيلزم
فيه ما لزم في الاجسام مما اوردناه قبيل بل لا يلزمه شيء من اعراض الاجسام اي لا يتزاحم في المكان لانه لا يحتاج
الى مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائه عن الزمان وانما استفاد بالحواس والاجسام كمالا فاذا كمل بها
تخلص منها وصار الى عالمه الشريف القريب الى باريه ومنشئه تعالى وتقدس وهذا الكمال الذي يستفيده بهذا
العالم الحسي قد بيناه وعرفناك الطريق اليه بما سلف في هذا الكتاب وانه السعادة القصوى للانسان واعلمناك
ضده الذي هو الشقاء الاقصى واثبتنا مع ذلك مراتب السعادة ومنازل الابرار ودرجاتهم من رضوان الله عز وجل في جنته التي
هي دار القرار كما بينا لك مراتب اضدادهم من سخطه ودركاتهم من النار التي هي الهاوية بلا قرار نسأل الله حسن المعونة على ما
يقربنا منه انه جواد كريم رؤف رحيم **علاج الحزن** الحزن الم نفساني يعرض لفقد محبوب او فوت مطلوب و
سببه الحرص على القنيات الجسمانية والشره الى الشهوات البدنية والحسرة على ما يفقده او يفوته منها وانما يحزن ويجزع على
فقد محبوب او فوت مطلوب من يظن ان ما يحصل له من محبوبات الدنيا يجوز ان تبقى وتثبت عنده وان جميع ما يطلبه من
مفقوداتها لابد ان يحصل له ويصير في ملكه فاذا انصف نفسه وعلم ان جميع ما في عالم الكون والفساد غير ثابت ولا باق وانما
الثابت الباقي هو ما يكون في عالم العقل لم يطمع في المحال ولم يطلبه فاذا لم يطمع فيه لم يحزن لفقد ما يهواه ولا لفوت ما يتمناه
في هذا العالم فصرف سعيه الى المطلوبات الصافية وقصر همته على طلب المحبوبات الباقية واعرض عما ليس في طبعه ان يثبت
ويبقى واذا حصل له منها شيء بادر الى وضعه في موضعه واخذ منها مقدار الحاجة الى دفع الالام التي احصيناها
من الجوع والعري والضرورات التي تشبههما وترك الادخار والاستكثار والتماس المباهاة والافتخار ولم يحدث نفسه بالمكاثرة
بها والتمني لها فاذا فارقته لم يتاسف عليها ولم يبال بها فان من فعل ذلك امن فلم يجزع وفرح فلم يحزن وسعد
ولم يشق ومن لم يقبل هذه الوصية ولم يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن غير منقض
وذلك انه لا يعدم في كل حال فوت مطلوب او فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا هذا لانه عالم الكون والفساد و
من طمع من الكائن الفاسد ان لا يكون ولا يفسد فقد طمع في المحال ومن طمع في المحال لم يزل خائبا والخائب ابدا

محزون والمحزون شقي ومن استشعر العادة الجميلة ان يرضى بكل ما يجده ولا يحزن لشئ يفوته لم يزل مسرورا سعيدا فان
ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم او لا ينتفع به فلينظر الى استشعار الناس في مطالبهم ومعايشهم واختلافهم فيها
بحسب قوة الاستشعار فانه سيرى ويتبين له ظاهرا فرح المتعيشين بمعايشهم على تفاوتها وسرور اصحاب الحرف المختلفة بمذاهبهم
على تباينها وليتصفح ذلك في طبقة طبقة من الدهماء فانه لا يخفى عليه فرح التاجر بتجارته والجندي بشجاعته والمقامر
بقماره والشاطر بشطارته حتى يظن كل واحد منهم ان المغبون من عدم تلك الحالة حتى فقد بهجتها والمغبون من غبي
عنها وحرم لذتها وليس في ذلك الا بقوة استشعار كل طائفة لحسن مذهبه ولزومه اياه بالعادة الطويلة اذا لزم
طالب الفضيلة مذهبه وقوي استشعاره وحسن رأيه وطالت عادته كان اولى بالسرور من هذه الطبقات
الذين يخبطون في جهالتهم وكان احظاهم بالنعيم المقيم لانه محق وهم مبطلون وهو متيقن وهم ظانون وهو صحيح وهم
مرضى وهو سعيد وهم اشقياء وهو ولي الله وهم اعداؤه وقد قال الله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وقال الكندي في كتاب دفع الاحزان مما يدلك دلالة واضحة على ان الحزن شئ يجتلبه الانسان
ويضعه وضعا وليس هو من الاشياء الطبيعية ان من فقد ملكا او طلب امرا فلم يجده ولحقه حزن ثم نظر في حزنه
ذلك نظرا حكميا وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية وان كثيرا من الناس ليس لهم ذلك الملك
وهم غير محزونين بل فرحين مغتبطين علم علما لا ريب فيه ان الحزن ليس بضروري ولا بطبيعي وان من حزن من
الناس وجلب لنفسه هذا العارض فهو لا محالة سيسلو ويعود الى حاله الطبيعي فقد شاهدنا قوما فقدوا من الاولاد
والاعزة والاصدقاء والاحبة من اشتد حزنهم عليهم ثم لا يلبثون ان يعودوا الى حال السرور والضحك والغبطة و
يصيروا الى حال من لم يحزن قط وكذلك حال من يفقد المال والضياع وجميع ما يقتنيه الانسان مما يعز عليه
ويحزن فانه لا محالة يتسلى ويزول حزنه ويعود الى السرور والغبطة فالعاقل اذا نظر الى احوال الناس في الحزن واسبابه
علم انه ليس يختص من بينهم بمصيبة غريبة ولا يتميز عنهم بمحنة بديعة وان غاية من مصيبة السلوة وان الحزن هو مرض
عارض يجري مجرى سائر الادواء فلم يضع لنفسه عارضا رديا ولم يكسب مرضا وضعفا علته مجتلبا غير طبيعي وينبغي ان يتذكر
ما قدمنا ذكره من حال من يحيى بتحية على من يشمها ويتمتع بها ثم ليردها ليشمها غيره ويتمتع بها سواه فاطمعته
نفسه فيها فظن انها موهوبة له هبة ابدية فلما احدث منه حزن واسف وغضب فلك هذه الحال من عدم عقله وطمع وبلا

لا مطمع فيه وهذه حال الحسد لانه يحب ان يستبد بالخيرات من غير مشاركة الناس والحسد اقبح الامراض واشنع الشرور
ولذلك قالت الحكماء من احب ان ينال اعداؤه الشر فهو محب للشر ومحب الشر شرير وشر من هذا من احب الشر لمن
لم يسئ له بعد واسوء حالا من هذا من احب ان لا ينال اصدقاءه خير ومن احب ان يحرم صديقه الخير فقد
احب له الشر ونخرج من هذه الرداءة ان الحزن على ما فاتنا وله الناس من الخيرات وان يحسدهم على ما يصلون
اليه منها وسواء كانت هذه الخيرات من قنياتنا وما ملكناه او مما لم نقتنه ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس
وهي ودايع الله عز وجل عند خلقه وله ان يرتجع العارية متى شاء على يد من شاء ولا سيئة علينا ولا عار اذا رددنا الودايع وانما
العار والسيئة ان نحزن اذا ارتجع منا منها وهو معذ لك كفر للنعمة لان اقل ما يجب من الشكر للمعير ان يرد عليه عاريته
على طيب نفس ويسرع الى اجابته اذا استردها لا سيما اذا ترك المعير علينا افضل ما اعارنا وارتجع اخسه قال وأعني
بالافضل الاجل ما لا يصل اليه يد ولا يشركه فيه احد اعني النفس والعقل والفضايل الموهوبة لنا اهبة لا ترتجع ولا
تسترد ونقول له الاقل الاخس لما اقتضاه العقل فقد ابقى الاكثر الافضل وانه لو كان واجبا ان يحزن بكل ما
قد يفقد لوجب ان يكون ابدا محزونين فينبغي للعاقل ان لا يفكر في الاشياء الضارة المولمة وان يقلل من القنية
ما استطاع اذ كان فقدها سببا للاحزان فقد حكي عن سقراط انه سئل عن سبب نشاطه
وقلة حزنه فقال لا اقتني ما اذا فقدته حزنت عليه واذ قد ذكرنا اجناس الامراض العظيمة
التي تخص النفس واشرنا الى علاجاتها ودللنا على اشفيتها فليس يعذر على العاقل
المحب للنفس السالك لها بما يخلصها من آلامها وينجيها من مهالكها ان تصفح الامراض
التي تحت هذه الاجناس من انواعها واشخاصها فيداوي نفسه منها ويعالجها
بمقابلاتها من العلاجات والرغبة الى الله عز وجل ذي الجود في
التوفيق فان التوفيق مقرون بالاجتهاد ولا يتم احدهما
الا بالآخر والحمد لله رب العالمين والصلوة
على نبيه محمد واله
الطاهرين

خاتمة الطبع

الحمد لله الذی هذب الانسان بتهذیب الاخلاق وطهره تطهیرا + وفضله علی سائر المخلوقات بالفضائل العلیة ووقره توقیرا
والصلوة والسلام علی رسوله محمد الذی شرف العالم بالایمان ونوره تنویرا + وعلی آله واصحابه الذین هم جمعوا القرآن المکنة
وفسروه تفسیرا + اما بعد فیقول العبد المفتاق الی رحمة الله القوی المدعو به **محمد معشوق علی** صانه الله عن شر کل غوی
وغبی + ان الرسالة المسماة **بکتاب الطهارة** فی تهذیب الاخلاق للحکیم الکامل من المتاخرین + وهو علی بن
یعقوب مسکویه الخازن الرازی + لما کانت مشتملة علی فوائد لطیفة + وقواعد شریفة + ومطالب عجیبة + ونکات
غریبة + وصارت لقصور همم الطالبین مستورة تحت الاستار + حتی لم توجد الا نسخة واحدة ناقصة فی هذه الامصار
فتوجه عنان عنایة الصاحب المکرم + والحاکم المعظم + المنصف المفخم + العادل الاکرم + السخی الاعظم + کپتان
فلی چر ہیس صاحب بهادر قائم مقام صاحب رزیڈنٹ بهادر بیت السلطنت لکنو + لا زال شموس
اقباله متالقة + الی ان یطبعها غایة الاظهار + وینتشرها نهایة الانتشار + ولیشتهرها کالشمس فی نصف النهار
والبدر فی لیالی الاقمار + فامر بطبعها فی المطبعة العلویة + فکلفنی صاحب المطبع بتصحیحه و
تنقیحه + وحل لغاته وتوضیحه + فلم آل جهدا فیه + وقد وقع الفراغ عن طبع ذلک الکتاب
[illegible] الثالث عشر من شهر صفر المظفر + سنة الف ومائتین واحدی وسبعین
من الهجرة النبویة + علی صاحبها الصلوة
والتحیة + والحمد لله اولا وآخرا +
فقط + + + +
+ + +
+